روايات عبير

عمليَّة نصب

WWW.REWITY.COM

مرمورية

Camille
RODOV

N°575

روايات عبير

قال:

"أوين" ل "ناديا" يغيظها :

- أتعرفين أنك تتكلمين وأنت نائمة ؟

صاحت :

- بالتأكيد هذا غير صحيح !

مشطت شعرها ثم تجهّم وجهها وهي ترى الانبساط والسرور على وجه "أوين" سألته :

- هل حقاً كنت أتكلم وأنا نائمة ؟

- نعم .

- وما الذي قلته ؟

اتّخذ وجهه تعبير الرجل الذي اكتشف سراً ثم اعترف قائلاً :

- إنني لا أفهم شيئاً .

- هل كنت أهمهم ؟

ردّ عليها :

- لا .. لقد كنت تتحدثين بكلام واضح ولكن بلغة أجنبية .

www.rewity.com

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٨ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٥ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٣ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال
U.K.	2£		

ISBN 9953-424-29-2

9 789953 424293

شخصيات الرواية

"أوين بريسكوت": مهندس معماري ووريث لإمبراطورية من الأملاك والمباني والأعمال.

"ناديا كندرا تافيتش": فتاة غجرية حسناء هاجرت من "روسيا" إلى "أمريكا" وتعمل مغنية. كما أنها المسؤولة عن عشيرتها من الغجر.

العمة "فيرنا": عجوز في الثمانين من عمرها عمة "أوين بريسكوت".

"زوركا كندرا تافيتش": والد "ناديا".

"سباستيان": كبير الخدم في قصر "بريسكوت".

الغلاف الأمامي

يذهب "أوين" إلى ضيعة يقيم فيها الغجر ليسترد النقود التي استولت عليها امراتان غجريتان من عمته عندما باعتا لها ماء الصنبور على انه ماء مقدس. يفاجا الشاب بمجموعة من الرجال مفتولة العضلات يمسكون به ويلفون حبلا حول رقبته ويعلقون طرف الحبل الآخر في فرع شجرة بينما يضعونه فوق سيارة. كان "أوين" في حالة ذهول تام لا يصدق ما حدث له عندما سارعت فتاة غجرية فوق جواد لتامر الرجال أن يحلوا الحبل في الحال عن "أوين". وعندما تعرف اسمه بالكامل تصاب بالهلع: لأنه الوريث الوحيد -هو وعمته العجوز- لإمبراطورية من الأراضي والمباني وبنك الائتمان في المدينة، وأن الضيعة التي يقيمون بها مرهونة للبنك الذي يمتلكه. كما أنها عانت الأمرين حتى أحضرت عشيرتها من الغجر من "روسيا" لتستقر

www.rewity.com مـــرمـــوريـــة

في "أمريكا". كما أن الغجرية الحسناء كانت تعمل مغنية مرشحة للعالمية، وتغني بست لغات مختلفة. وأن ما فعله رجال العشيرة يهدد كل ما بذلته من جهد.

يقع "أوين" في حب الغجرية الحسناء التي تبادله نفس الحب، ولكن هناك مشاكل عديدة تقف حائلا بينهما.

WWW.BEWTY.COM
مرموزية

الفصل الأول

أحس "أوين بريسكوت" بأن عقدة الحبل تضيق حول رقبته فصرخ قائلا:

- هل جننتم.. كفى!

كانت العقدة التي تربط رسغيه خلف ظهره قد انغرست قليلا في جلده. انزلق فوق غطاء محرك السيارة القديمة، ولكنه استطاع أن يستعيد توازنه. إنه كابوس! لا يمكن أن يكون ما يحدث سوى كابوس.

إن "أوين بريسكوت" وهو في سن الثانية والثلاثين سيشنق بالحبل بواسطة عصابة من الغجر الثائرين الذين يطلقون صيحات بلغة غير مفهومة.

قفز العملاق، ضخم الجثة الذي لف الحبل حول رقبته من فوق السيارة، ولكن فجأة بدا لـ"أوين" أن أعضاء العصابة التي ستشنقه

بدءوا يتصارعون فيما بينهم. أراد أن يعتقد أن هذه علامة طيبة.

وإذا كان لابد من الموت فإنه لا يفضل أن يموت مشنوقا على طرف فرع شجرة. ربما فوق سرير فراشه من الحرير الساتان الأسود مثلا بين يدي جاسوسة شقراء خبيرة تتحدث باللكنة السويدية.

نظر "أوين" فيما حوله ورأى أن معذبيه قد نسوه بعض الشيء. أما هو فلن ينسى أبدا.. لو وجد الطريقة التي يخرج بها سليما معافى من ضيعة "كندرا تافيتش" فسيذهب مباشرة إلى المأمور ويقص عليه حكايته.

أمامه أحد أمرين لا ثالث لهما: إما أن يتدلى جسده مشنوقا قبل هبوط الليل ويتأرجح في الهواء، وإما أن تكون عشيرة "كندرا تافيتش" كلها وراء القضبان. كانت المدينة الصغيرة "كاو هيد" في "كارولينا الشمالية" مشهورة بحرارة ضيافتها، ولكن هذه المرة وجد "أوين" أن السكان زادوا من حماس ضيافتهم أكثر من اللازم.

كان الرجال يلوحون بحركات كبيرة نحو مجموعة من النساء والأطفال يقتربون، ولكن فجأة استحوذ على انتباه الجميع عدو جواد سريع. لوحت النساء ثم سارعن في خطواتهن والأطفال يجرون في أعقابهن وهم يدسون رؤوسهم في جيبات أمهاتهم الطويلة. بينما أخذ الرجال يضربون قلنسواتهم على أفخاذهم وهم يطلقون سيلا يشبه السباب.

توقف في زمجرة كالرعد جواد أسود في مكانه وهو يتقافز أمام سيارة "أوين"، اعتقد "أوين" أنه يرى الدخان يخرج من خياشيمه المرتجفة.

تراجع كرد فعل طبيعي للوراء خطوة، وأحس بأن الحبل يزداد ضغطا على عنقه. ثم تركت عيناه المطية ليتأمل الفارس: كانت فارسة

جمالها يأخذ بالألباب ويقطع الأنفاس وكانت بُرية مثل أشجار السرو في الجبال.

عيناها واسعتان عميقتان شديدتا السواد، وشعرها أسود طويل بلون الأبنوس اللامع، وشفتاها بلون الفراولة.

أحس "أوين" بقلبه يدق حتى يوشك أن ينفجر.. نسي الشقراء الفارعة ذات اللكنة السويدية التي تخيلها وأين تكون أمام هذه الملاك الأسود؟

كانت "ناديا كندرا تافيتش" تسيطر على الفرس بيدين من حديد، وابتسامة مغتصبة على شفتيها توجهها لوالدها وأعمامها. لقد حضرت المشهد ورأته من شرفتها وقررت التدخل قبل فوات الوقت. اختفت ابتسامتها عندما رأت عين والدها المتورمة ثم قالت:

- هل يمكن أن تشرح ما يجري يا أبي؟

نظرة واحدة من والدها "ميلوش" فهمت الشابة أنه غير راض عن زيها، وبعد أن أطلقت الشابة زفرة ملل وندم سوت من جيبتها. أحس المحكوم عليه بالإحباط من هذه الحركة التي غطت جمال ساقيها وكأنه حرم من آخر رغبة له قبل الشنق.

هز "ميلوش" رأسه في حدة وبدأ كلامه. قالت الشابة تقاطعه في الحال:

- من فضلك يا أبي.. تحدث بالإنجليزية نحن في "أمريكا".

- هذا اللعين "الجادجو" يحتاج أن يعلق في طرف الحبل!

صاح "أوين" وهو مستعد لإنكار التهمة بكل قواه:

- ماذا يعني "الجادجو"؟

لأول مرة تشاهد "ناديا" الرجل وهو واقف فوق غطاء محرك السيارة العتيقة الخاصة بالعم "زانكو"، ورغم وضعه غير المريح إلا أن الثقة

www.rewity.com

بالنفس كانت بادية عليه، وذقنه يدل على العزيمة ونظراته حية، وانتظر ردها على سؤاله.

- "الجادجو" هو الذي لا يجري في عروقه دم التزيجان "الغجر الأصليين".

ركز "أوين" على الشابة. إنها ليست الوحيدة التي استمعت إليه فحسب، وإنما أيضا لها تاثير على هؤلاء الرجال المتوحشين.

- هل سيشنقوني لانني لست غجريا؟

ابتسمت "ناديا":

- لم يكن في نيتهم أن يشنقوك.

- آه.. رائع؟ إذن لماذا علقوني كـ"البيناتا"؟

كررت "ناديا" متسائلة:

- "بيناتا"؟ ماذا تكون؟

- إنها كرة من الورق معلقة في فرع شجرة وعندما تكسرينها ينهال عليك شلال من الحلوى. إذا استطعت أن تقنعي والدك وأصدقاءك أن يتركوني فإنني أعدك بأن أرسل إليك أكبر "بيناتا" في العالم.

هزت "ناديا" رأسها:

- أخشى انني لن أستطيع أن أقبل عرضك.

- ولم لا؟

كان يريد أن يستغل فضول أسريه وهم يتابعون الحديث بينهم كما لو كانوا يشاهدون مباراة في التنس.

ردت عليه:

- أنا لا أستطيع أن أقبل لأنه غش وخداع. ألقت نظرة ناحية والدها وأعمامها الثلاثة وإخوتها. ثم قالت:

- إنهم لن يشنقوك وإنما يريدون فقط أن يثبروا فزعك. عندما وصلت

أنا كانوا يتساءلون إن كانوا قد أفزعوك بما فيه الكفاية. عقد "ميلوش" ذراعيه فوق صدره وأخذ يحدج ابنته بنظرة لا تبشر بخير. ثم قال:

- أنت لا تعرفين ما اقترفه. لقد عامل عمتيك "سيلكا" و "ساشا" على أنهما نصابتان.

ظهر نفس المظهر المكفهر على الإخوة الثلاثة لـ"ميلوش" وهم "روبا" و"زانكو" و"يوريك".

- لو كان هذا حدث مع الممثل "جون واين" لصرعه في الحال. ولكن لما كان استخدام السلاح الناري محرما علينا فقد قررنا أن نقدم رباط عنق من حبال القنب لهذا الخالي من الدماء الغجرية.

تدخل الشخص المعني بهذا الحكم:

- إن اسمي "بريسكوت".. "أوين بريسكوت". عضت الشابة على نواجزها عندما سمعت الاسم.

- "بريسكوت"؟ تعني شركة "بريسكوت" العقارية؟ الخاصة بمنشات "بريسكوت" والبنك الائتماني؟

أراد "أوين" أن ينحني احتراما، ولكن الحبل حول عنقه منعه من ذلك. ثم قال وهو يطرق عقبيه:

- في خدمتك يا آنسة! لمن لي شرف الحديث في هذا اليوم التاريخي؟

قالت بصوت خال من التعبير:

- "ناديا كندرا تافيتش".

استدارت نحو مجموعة الرجال وخرقت العادة عندما أصدرت أوامرها بلغة أجنبية. في الحال أمكن لـ"أوين" أن يتنفس بحرية حيث فكوا عقدة الأنشوطة وحلوا رباط رسغيه. رفض اليد التي مدها أحدهم إليه وقفز بمفرده من فوق غطاء محرك السيارة. وبدأ ينفض الغبار عن

www.rewity.com مـر مـور يـة

بنطلونه.

- أعرف أنك وعائلتك وافدون جدد على "كاوهيد"، ولاشك أنكم تجهلون أن لدينا تقاليد عريضة وهي: حفاوة الضيافة.

- يا سيد "بريسكوت"..

قال وهو يستمتع بغرابة اسمها على المجتمع الأمريكي:

- أرجوك أن تسعديني يا "ناديا" وناديني "أوين". كانت الشابة عاجزة عن أن تفعل ذلك. إنها تعلم جيدا أن بلدة "كاوهيد" كان من الواجب أن يطلق عليها اسم "بريسكوت فيل"؛ إن تمثال الجنرال "جيريمي بريسكوت" ممتطيا صهوة جواده يحتل وسط الميدان، محاطا بحوض كبير من الزهور، ونصف مباني المدينة تحمل اسم "بريسكوت" بما فيها مبنى البنك الائتماني والذي يمتلك الضيعة "لندرا تافيتش". إن "أوين بريسكوت" يمكن أن يسبب الإفلاس للشابة بجرة من قلمه.

سالته:

- ما الذي تلوم عمتي "سيلكا" و"ساشا" عليه؟

- لقد باعتا لعمتي "فيرنا" زجاجات من مياه الصنبور على أنها مياه من نافورة مقدسة. أطلقت "ناديا" سبابا بالروسية ورفعت السماء في الحال ألا يفهم هذه اللغة. إن أسرتها ستورثها الجنون، فبعد الجهود الجبارة التي بذلتها لإحضارهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية.. كان كل ما تطلبه منهم هو احترام قوانين الأرض التي رحبت بهم وتعلم الإنجليزية، ومن الواضح أن هذا الطلب أكثر من طاقتهم. وكأنه طلب مغالى فيه.

- أين النقود يا "ساشا" وأنت يا "سيلكا"؟ خطت امرأة في الأربعين من عمرها خطوة للأمام وقالت:

- إن نصف المبلغ في جيوبنا والنصف الآخر في بطوننا.

- وكم صرفتم؟

- ثمانية وخمسين دولاراً.

- قدما ما تبقى إلى السيد "بريسكوت" مع شديد أسفكما وسادفع له الباقي، ولو حالفنا بعض الحظ فلن يقدم شكوى ضدكما.

حدجت النصابتين بنظرات نارية ثم قالت:

- بالنسبة لكما لا يمكن أن أمل أكثر من ذلك.. ألا يقدم ضدكما شكوى. أعرف أنكم لم تريدوا أن تشنقوه، وأن هذا نوع من المسخرة والتهريج ولكن ضحيتكم كان من الممكن أن يصاب بأزمة قلبية ويموت من الخوف، وجميعكم كنتم ستدخلون السجن بتهمة القتل. فكروا في هذا.

ثم التفتت ثانية إلى "أوين" وقالت:

- يمكنني أن أردلك الباقي، وأقدم لك كل اعتذاري باسم أسرتي، وعندما تقوم بزيارة ضيعة "كندرا تافيتش" أضمن لك أننا سنستقبلك بأذرع مفتوحة.

هز "أوين" رأسه. إنه لا يريد أي اعتذارات من هذا الملاك المنقذ. إن "ناديا" لم تفعل شيئا، ولكن عندما تقدمت "سيلكا" و"ساشا" ليعطياه بعض الأوراق النقدية المكرمشة أحس بعدم الارتياح؛ كان الأطفال ينظرون إليه بعيونهم السوداء الواسعة. لقد سمع "ساشا" تقول إن نصف النقود صرفت في الطعام. هل كان أفراد عشيرة الـ"كندرا تافيتش" في حالة من اليأس لدرجة أنهم اضطروا للنصب على امرأة عجوز في الثانية والسبعين من عمرها وسلب مائة دولار منها؟

أحست "ناديا" بأنه متردد فقالت:

- خذ النقود.. إنها ملك عمتك.

دس "أوين" النقود في جيبه، إنه يعلم جيدا أن عمته يمكنها أن

www.rewity.com

تشتري سيارة فنطاس مليئة بمياه النافورة المقدسة لو أرادت. إن حساباتها في البنك متضخمة جدا. لقد وجد أن أسرته تنحصر في شخصين: العمة "فيرنا" وهو، وهذا يفسر ميله إلى الظهور بأنه حام للمرأة العجوز التي هي قريبته الوحيدة الباقية على قيد الحياة.

قال موجها الكلام للنصابتين:

- شكرا.

من خمس دقائق كان على استعداد لأن يرسل جميع أفراد قبيلة "كندرا تافيتش" للجحيم، وهاهو الآن يشكرهم في رقة. قال:

- ربما كان بالإمكان أن..

قاطعته "ناديا" وهي تدرك شفقته:

- لا يوجد ربما.. وارجوك قدم اعتذارنا لعمتك. هبطت من فوق الجواد في رشاقة وليونة لا مثيل لهما وقالت:

- لو سمحت أن تصحبني إلى البيت لأعطيك الباقي. لمح "أوين" عن بعد بيتا صغيرا أبيض ومخزنا.

- لا داعي لذلك.

قالت "ناديا" في إلحاح:

- لابد من إعادة النقود لعمتك.. إنها مسألة شرف العائلة.

لاحظت نظراته. فدست يدها بسرعة في جيبها.. كانت دائما تشعر بالحرج من يديها. لقد أصبحت أصابعها متحجرة بسبب العزف على الجيتار، وكانت أظافرها مقصوصة. كانت حياتها وحياة أسرتها تعتمد على مهارة أصابعها. استدارت "ناديا" إلى الأطفال وقالت:

- هل تريدون إعادة الجواد؟

سارع أربعة صبية نحوها ودهش "أوين" من حماسهم. وضعتهم "ناديا" على ظهر الجواد وراء بعضهم، ثم أمسكت باللجام وقادت

الجواد نحو المنزل ثم قالت لـ"أوين":

- هل ستأتي:

أصبح "أوين" بجوارها بعد خطوات قليلة وعندما كانت فوق جوادها لم يلحظ أنها ضئيلة. إن طولها مائة وستون سنتيمترا لا أكثر، ولكن شعرها الطويل الأسود وعينيها السوداوين زادت فتنتها أكثر. سألها:

- هل لجوادك اسم؟

- بالتأكيد.

- أراهن.. إنه اسم "الشيطان" أو "إبليس".

- إن تخمينك لم يبعد عن الحقيقة كثيرا. إن اسمه هو الذي يثير أكبر خوف عند الأمريكيين.

- القنبلة الهيدروجينية؟ طبيب الأسنان؟ أو ربما الحماة؟

قالت "ناديا" وهي تضحك عاليا:

- لا.. إنه يدعى "الخزانة" مثل الخزانة العامة اقتربا من البيت والمخزن العتيق الذي مال جانبا لدرجة الخطورة.

انزلت الأولاد من فوق الجواد والذين اختفوا واحداً وراء الآخر وهم يسابقون الريح. ثم فتحت الباب الخاص بتحويطة حيث تركت فيها الفرس "خزانة" بعد أن منحته قطعة من السكر. نظر الفرس نحو "أوين" وصهل ثم ابتعد في هدوء قال "أوين":

- إن هذا الجواد لا يحبني.

- لأنك لم تعطه شيئا. إن "خزانة" جواد مدلل وضعت الشابة حاجزا ليمنع خروج الجواد. في يوم من الأيام قد تتمكن من إنشاء إسطبل حقيقي وفي يوم أيضا ستمرح المهور في الضيعة. إن "خزانة" هو مدار حلمها الرئيسي. إنه يمثل كل ما ضحت من أجله خلال السنوات الأخيرة. إنه رمز ضيعة "كندرا تافيتش" وبيت ثابت أخيرا لعائلتها..

www.rewity.com مـــوريـــتـــ

ستنتهي سنوات الترحال والضياع. لقد ولدت "ناديا" في "المجر" ولكن منذ شهر فقط كانت تعيش في "روسيا" وفي سن الثالثة كانت تعيش في "يوغوسلافيا" وفي سن الثامنة كانت تتكلم ست لغات بطلاقة، وفي سن السادسة عشرة كانت قد قطعت وتجولت في ثلثي أوربا. كانت أكبر أمنياتها اليوم هو ألا تضع قدميها خارج ضيعتها.

- "ناديا"؟

فزعت الشابة.

• اعذرني.. ماذا قلت؟

تاملها "أوين" في إمعان.

- إلى أين شطح بك الخيال؟

- لا شيء.. هيا بنا إلى المنزل.

صعدت الدرجات القليلة الخاصة بالشرفة الأمامية وفتحت الباب ثم قالت له:

- ادخل لحظات. لن أتأخر كثيرا.

دخل "أوين" إلى المطبخ الفسيح وأغلق الباب خلفه برقة. كانت "ناديا" قد اختفت، وكانت مائدة إعداد الطعام خالية ولا يوجد توستر ولا موقد ميكروويف ولا حتى قدح قهوة متسخ. كان من الواضح أن الجدران طليت باللون الأصفر من مدة طويلة. وقد تحول لونها إلى البيج المتسخ ووسط الحجرة توجد مائدة صغيرة في الساحة الفسيحة التي يمكنها أن تتحمل مائدة لدستة من الطاعمين. كما رأى مقعدين متهالكين. بينما وضع على المائدة مفرش أحمر باهت.

ترك المطبخ ليذهب إلى الصالون وكانت الغرفة شبه عارية من الأثاث حيث وُجدت وسادتان كبيرتان وكومة من المجلات والكتب، ومصباح اباجورة عتيق. تمزقت كسوتها القماش. أما في داخل حوض المدفأة

فإن رماد الشتاء لم يقم أحد بإزالته، وفوق المدفأة توجد صورة وتمثال الحرية من الألمونيوم.

هبطت الشابة الدرج في خطوات خفيفة. فوضع "أوين" التمثال الصغير مكانه. لقد حضرت "ناديا" وأسرتها إلى الولايات المتحدة للعثور على الحرية ومن مظهر حياتهم المؤقتة حكم بأن إقامتهم في "كاوهيد" لن تستمر كثيرا.

سألته:

- آه.. هل أنت هنا يا سيد "بريسكوت"؟

كان أبي اسمه "بريسكوت" أما أنا فاسمي "أوين".

- وهل مات؟

- لقد اختفى والدي في حادث طائرة من ست سنوات.

- أنا آسفة.

كانت أصابع يدها تلمس ذراعه. أمسك بيدها وضغط عليها ليشكرها على تعاطفها، فتحت "ناديا" عينيها على اتساعهما وسحبت يدها المرتجفة ثم دستها في جيب جيبتها ومدت له يدها بالنقود.

- هذه هي النقود التي ندين بها لعمتك.

قال وهو يهز رأسه:

- أنا لا أريد هذه النقود. أعتقد أنكم في حاجة إليها أكثر من عمتي.

- إن آل "كندرا تافيتش" لا يقبلون إحسانا.

- إذن لنعتبره دينا.

- إنني مدينة بما يكفي لآل "بريسكوت".

دست النقود في يد "أوين" فقال:

- لست أفهمك. أنا لم أقرضك نقودا أبدا.

- لقد اشتريت هذه المزرعة من آل "بريسكوت". إن بنك الائتمان

www.rewity.com

"بريسكوت" صاحبها ولا تزال باسمه. الا تعلم ممتلكاتك؟

- بل أعرف.. لا.. لست أدري..

كان مرتبكا ومتحيرا. إن "ناديا" وأسرتها من الواضح أنهم غير قادرين على دفع الأقساط الشهرية لهذه الضيعة الضخمة. طبعا مبانيها كانت في حالة سيئة عندما عرضت للبيع، وقد سعد "دون آدامز" عندما نجح أخيرا في بيعها بعد سنين. ولكن كيف استطاعت "ناديا" الحصول أساسا على موافقة مدير البنك "بيل آدامز" لتمويلها؟

إنه عادة ما يطلب ضمانات قوية.

- إن شركتي لا تمتلك ضيعتك يا "ناديا". إنها ملك أنت.. كل ما هناك أننا اقرضناك النقود اللازمة لشرائها.

قالت وهي تعود إلى المطبخ:

- أنتم الذين تحتفظون بملكية الضيعة.

قال لها وهو يتبعها للمطبخ:

- سننقل لك ملكيتها عندما تدفعين القرض.

- هذا بالضبط ما قلته. هذه الضيعة ليست ملكي بعد.

- نعم من الناحية الفنية ولكن..

- أليس من حقك بيع الضيعة؟

- فقط عندما لا تدفعين القرض. ألم يشرحوا لك الإجراءات وهم يعطونك القرض؟

- بل فعلوا. إن السيد "مايور" كان واضحا للغاية.

إنني أسدد القرض على عشرين عاما، ثم يعطوني أوراق الملكية، وحتى يتم ذلك تمتلكون جزءا من الضيعة. كل ما قالته صحيح، ولكن أغلب الناس لا يعتبرون البنك المالك لمنازلهم.

- لقد كنت مقتنعا أن والديك يمكنهما أن يشرحا لك أنني لست مالكا

لشيء من المزرعة.

- إن والدي لا يعرفان حتى معنى القرض.

- إذن أعمامك؟

عبرا المطبخ ليذهبا إلى الشرفة. كان اثنان من أعمامها يعملان في تخويطة الجواد "خزانة" وهناك أمور كثيرة لا يفهمونها بعد حول نمط الحياة الأمريكية، وكل ما يعرفونه. كان مصدره الأفلام القديمة التي شاهدوها في المطار وهم ينتظرون الحصول على تأشيرات دخولهم.

مرر "أوين" يده على رقبته التي لاتزال تؤلمه وقال:

- دعيني أخمن.. لقد شاهدوا أفلام رعاة البقر، انفجرت "ناديا" في الضحك.

- بالضبط! إنها المفضلة عندهم. كما أن شقيقي "ستيفو" و"ميكول" يهويان الأفلام البوليسية، وأختي "سونيا" وزوجها "جوستافو" يعشقان أفلام "إيرول فلين"، بينما يقدس أخي "بنكيتا" "كاري جرانت" وأخي الأكبر يعشق "الفيس برسلي".

- كم عدد الأشخاص الذين يعيشون في هذه الضيعة؟

- واحد وثلاثون بما فيهم أنا.

اتسعت عينا "أوين" وسألها:

- وأنت ما هي أفلامك المفضلة؟

- أنا أقطن في الولايات المتحدة منذ خمس سنوات وقد تخلصت من أوهامي عن الولايات المتحدة منذ زمن بعيد.

كانت سيارة "أوين" من النوع الفاخر المكشوف ماركة "فورد موستانج"، ولا تزال مصفوفة على الطريق على بعد مسافة منهما.

تساءل "أوين":

لماذا يبدو على "ناديا" كل هذا الحزن وهي تذكر أوهامها التي ذهبت؟

www.rewity.com مـرمـوريـة

من حطم أحلامها؟ كان العديد من الأسئلة تتصارع داخل ذهنه وبعض الإجابات لابد موجودة في مكاتب بنك الائتمان. أمسك بيد "ناديا" متحججا أنه سيودعها، وعلت شفتيه ابتسامة انتصار عندما وجدها ترتجف. إنه لم يتخيل شيئا.. لقد أحست هي أيضا أن هناك تيارا كهربائيا بينهما.

- إلى اللقاء يا "ناديا".. لقد كانت مقابلة أسرتك محنة بالنسبة لي وسعادة كبيرة بمعرفتك.

- هل ستقدم شكوى ضدنا؟

اتجهت عينا "أوين" نحو تحويطة الجواد وقابلتا نظرات أعمامها العدائية وقال:

- عليك أن تقولي لهم ألا يبيعوا مياه الصنبور على أنها تفعل المعجزات للسذج.

- أضمن لك أنني سأخبرهم بذلك.

- وأثناء ذلك أخبريهم أيضا أن الولايات المتحدة الأمريكية لا تنظر بعين العطف وتقسو جدا على من يشنقون جيرانهم.

كانت "ناديا" مصممة على إعطائهم دشا باردا. كيف يمكنهم أن يأملوا في الحصول على عمل في هذه البلدة لو تصرفوا كخارجين على القانون؟

بدت الشابة رقيقة جدا على تحمل هذه المسؤولية على كتفيها. ود "أوين" لو استطاع مواساتها.

- إذن لن أذهب إلى المأمور.

أطلقت "ناديا" زفرة ارتياح وقالت:

- أوه.. شكرا يا سيد "بريسكوت".. أقصد "أوين".

- تأكدي من أنهم لن يعيدوا الكرة مرة ثانية فإن هذا قد ينقلب

عليهم بضرر بالغ.

هبط الدرجات القليلة واتجه إلى سيارته. نالت "ناديا" على الدرابزين وراقبته وهو يبتعد وهي تعتقد أنها تستحق جائزة الأوسكار للتمثيل: لأنها لم تظهر أبدا اضطرابها، ومع ذلك كان "أوين بريسكوت" - بلا منازع - أجمل رجل رأته من زمن بعيد.

تساءلت: لماذا أثار انتباهها "أوين بريسكوت" وريث "كاوهيد" والرجل المهذب من أهل الجنوب؟ إنه ليس الرجل الذي يصلح لها.. زفرت زفرة أسف وتركت الشرفة الأمامية لتذهب إلى المطبخ وهي تتساءل: لماذا يرغب المرء دائما فيما لا يستطيع أن يحصل عليه بالذات؟

www.rewity.com

الفصل الثاني

اغلق "اوين" الملف الذي كان يفحصه بعناية. إنه يفهم الآن لماذا قرر "بيل مايور" منح "ناديا" قرضا. ليس لانها سوت ثلثي القرض ثمن الضيعة فحسب، وإنما قدمت ضمانا لباقي الثمن عقدا موسيقيا مربحا، وحسب مستنداتها فإن "ناديا كندرا تافيتش" كانت على أعتاب أن تصبح مغنية عالمية.

كان "اوين" قد قابل من ساعة "بيل" في اللحظة التي كان الأخير يغلق المكاتب. عرض الرجل على "اوين" البقاء وقتا أطول للرد على اسئلته المتوقعة حول الملف، ولكن "اوين" طلب منه العودة إلى بيته مؤكدا له أن فضوله لا صلة له بإدارته للبنك والشركة. ومنذ أن ورث "اوين" كل الأنشطة العديدة للأسرة ظل بمعزل عن الإدارة تاركا المديرين يؤدون عملهم، إلا عندما يحتاجون إلى استشارته. لقد كانت كل أوقاته في النهار مشغولة بهوايته التي يعشقها وهي تصميم العمارات والمنازل

وبناؤها. جلس في استرخاء في مقعده الوثير وأراح قدميه على المكتب الخاص بـ"بيل". كانت اشعة الشمس الغاربة في الخارج فوق الميدان الصغير تجعل التمثال البرنزي لجد جد جده يلمع. لقد كان على ثقة من أن الجنرال "جيريمي بريسكوت" لن يوافق على ما سيفعله حفيد أحفاده: إن الرجل المهذب الفارس لايدس انفه في الشؤون الخاصة بامراة. ولكن يبدو أن جده لامه من الممكن أن يكون متفاهما أكثر من الجنرال المتعصب للتقاليد النبيلة: لانه تحدى المجتمع المحلي الطيب عندما تزوج من امراة نصف شيروكيه تنحدر من أهم قبائل الهنود الحمر، وكان اسمها جميلاً "عين الصباح". ركز "اوين" عينيه على الملف الذي ألقى به على سطح المكتب. لازالت "ناديا" محاطة بالغموض. لماذا تركت "نيويورك" حيث كانت تغني في ملهى ليلي يمنحها أجرا خرافيا لتأتي وتقيم في بلدة منعزلة وضائعة في "كارولينا" الشمالية؟

إن أقرب ملهى في "آشفيل" على بعد خمسين كيلومترا. إن العقد يلزم "ناديا" أن تكتب وتسجل البوماً غنائيا باربع لغات مختلفة قبل نهاية العام. بل إن هناك خيارا أن تحصل على مبلغ ضخم إذا نجحت في تسجيل الالبوم بلغتين إضافيتين قبل نهاية شهر "ديسمبر". إن "ناديا" امامها عمل مفتوح على مصراعيه! ثم إنها تتحدث سبع لغات وهو ما يدهش "اوين" بشكل خاص. إن الالبوم خاص باغاني الأطفال وبه اغنية عنوانها "حيوانات تحت سريري".

نهض وهو يطلق زفـرة ووضع الملف في درج المكتب. إن بعض الأسئلة وجد لها إجابات وأسئلة اخرى ظهرت. القى نظرة على ساعة يده وسارع بترك البنك والصعود إلى سيارته. هذا المساء هو اجتماع لعب البريدج الخاص بالعمة "فيرنا". وإذا حالفه الحظ فلايزال أمامه الوقت كي يعود إلى المنزل وإغلاق مكتبه قبل أن يذهب إلى عمته.

www.rewity.com

وتعرض عليه صديقاتها بنات وشابات من قريباتهن في سن الزواج.

أحيانا يسوده اعتقاد أن "بريدج يوم الاحد" ليس سوى عذر للعمة "فيرنا" حتى تزوجه وتجعله يستكين إلى منزل.

# # #

هزت "ناديا" رأسها وهي تحدج عمتها "صوفيا" بإمعان. إن أمامها آلاف الأشياء لتفعلها يوم السبت هذا وليس أمامها وقت تضيعه.

- ليست لدي رغبة في أن تقرئي طالعي في أوراق الشاي. وضعت العمة القدح القديم فوق المائدة ودفعته نحو الشابة وقالت بإلحاح:

- بل لابد أن أفعل. لقد حلمت أمك نفس الحلم الليلة كان القدح عند الأسرة من أجيال.

- أمي تحلم طوال الوقت.

- إنها المرة السادسة التي ترى فيها نفس الرؤيا هيا اشربي حتى أستطيع أن اطمئنك.

أخذت أصابع الشابة تلعب على حافة القدح. منذ عدة سنوات من قبل قرأت لها العمة "صوفيا" طالعها، وتنبأت برحلة طويلة لكل العائلة. كانت "ناديا" تتصور أن عشيرة "كندرا تافيتش" ستغادر "روسيا" إلى "ألمانيا" أو "بولندا" أو اي بلد قريب. من كان يظن أنهم منذ ست سنوات أقاموا جميعا في الولايات المتحدة الأمريكية؟

- إن أمك مقتنعة أن هذا الحلم يخصك، وهي تخشى أن حبها لك لن يخيم على حكمها ويؤثر عليه.

لم تستطع "ناديا" أن تقاوم رغبتها في معاكسة عمتها وإغاظتها والتي كانت لها بمثابة أم ثانية.

- ولذلك تريدين أن تقرئي طالعي لأنك لا تحبينني؟ اكتفت "صوفيا" بهز كتفيها في تصميم. أخذت "ناديا" القدح وقالت لها:

- لا أريد بوجه خاص كلاما. فارغا عن رجل أجنبي له عينان غامضتان.

قالت لها العمة "صوفيا" وهي تراقبها تشرب الشاي:

- أنا لا أقول إلا ما أراه.

قلبت "ناديا" قدح الشاي فوق الطبق وقالت:

- إنك لن تجدي هناك سوى العمل والموسيقى والغناء والمسؤوليات.

طردت صورة "أوين بريسكوت" من مخيلتها بعد أن ظهرت فيها. انتظرت "صوفيا" لحظات قبل أن ترفع القدح ثم بحرص شديد رفعت الطبق نحو نور النافذة وانهمكت في فحصه بدقة شديدة.

أخذت "ناديا" تطرق باصابعها بعصبية على سطح المائدة لحنا كانت تعمل على استكماله اليومين الماضيين. إنها تتعلق بتمساح مسكين يعاني من آلام الأسنان الممضة ولا يريد أحد أن يساعده خوفا من أن يعقره ثم بدأت "صوفيا" الحديث وهي تنظر إلى ابنة أخيها:

- إنه يحضر هدية.

- من هو إذن؟

- أنت تعرفينه جيدا.

- لقد سبق أن أشرت عليك ألا تقولي شيئا عن غريب ذي عينين غامضتين. احتفظي بهذا الكلام لتخدعي به من ليست دماؤهم غجرية.

- أنا لم أقل إن عينيه غامضتان وأنه غريب. أخذت "ناديا" الطبق وغسلته تحت الصنبور.

- هل هذا يؤكد حلم أمي؟ مجرد لغو رومانسي.. استمرت العمة "صوفيا" في الحديث وهي تبتعد عن النافذة.

- أنت مخطئة عندما تتهكمين. لأنني أرى نفس الشيء الذي تراه

وتعرض عليه صديقاتها بنات وشابات من قريباتهن في سن الزواج.

أحيانا يسوده اعتقاد أن "بريدج يوم الاحد" ليس سوى عذر للعمة "فيرنا" حتى تزوجه وتجعله يستكين إلى منزل.

* * *

هزت "ناديا" راسها وهي تحدج عمتها "صوفيا" بإمعان. إن امامها آلاف الأشياء لتفعلها يوم السبت هذا وليس أمامها وقت تضيعه.

- ليست لدي رغبة في أن تقرئي طالعي في أوراق الشاي. وضعت العمة القدح القديم فوق المائدة ودفعته نحو الشابة وقالت بإلحاح:

- بل لابد أن افعل. لقد حلمت أمك نفس الحلم الليلة كان القدح عند الأسرة من أجيال.

- أمي تحلم طوال الوقت.

- إنها المرة السادسة التي ترى فيها نفس الرؤيا هيا اشربي حتى أستطيع أن اطمئنك.

أخذت أصابع الشابة تلعب على حافة القدح. منذ عدة سنوات من قبل قرات لها العمة "صوفيا" طالعها، وتنبات برحلة طويلة لكل العائلة. كانت "ناديا" تتصور ان عشيرة "كندرا تافيتش" ستغادر "روسيا" إلى "المانيا" أو "بولندا" أو اي بلد قريب من كان يظن أنهم منذ ست سنوات أقاموا جميعا في الولايات المتحدة الأمريكية؟

- إن أمك مقتنعة أن هذا الحلم يخصك، وهي تخشى أن حبها لك لن يخيم على حكمها ويؤثر عليه.

لم تستطع "ناديا" أن تقاوم رغبتها في معاكسة عمتها وإغاظتها والتي كانت لها بمثابة أم ثانية.

- ولذلك تريدين أن تقرئي طالعي لانك لا تحبينني؟ اكتفت "صوفيا" بهز كتفيها في تصميم. أخذت "ناديا" القدح وقالت لها:

- لا اريد بوجه خاص كلاما، فارغا عن رجل أجنبي له عينان غامضتان.

قالت لها العمة "صوفيا" وهي تراقبها تشرب الشاي:

- أنا لا أقول إلا ما أراه.

قلبت "ناديا" قدح الشاي فوق الطبق وقالت:

- إنك لن تجدي هناك سوى العمل والموسيقى والغناء والمسؤوليات.

طردت صورة "أوين بريسكوت" من مخيلتها بعد أن ظهرت فيها، انتظرت "صوفيا" لحظات قبل أن ترفع القدح ثم بحرص شديد رفعت الطبق نحو نور النافذة وانهمكت في فحصه بدقة شديدة.

أخذت "ناديا" تطرق باصابعها بعصبية على سطح المائدة لحنا كانت تعمل على استكماله اليومين الماضيين. إنها تتعلق بتمساح مسكين يعاني من آلام الأسنان الممضة ولا يريد احد أن يساعده خوفا من أن يعقره ثم بدأت "صوفيا" الحديث وهي تنظر إلى ابنة أخيها:

- إنه يحضر هدية.

- من هو إذن؟

- انت تعرفينه جيدا

- لقد سبق أن اشرت عليك الا تقولي شيئا عن غريب ذي عينين غامضتين. احتفظي بهذا الكلام لتخدعي به من ليست دماؤهم غجرية.

- أنا لم اقل إن عينيه غامضتان وانه غريب. اخذت "ناديا" الطبق وغسلته تحت الصنبور.

- هل هذا يؤكد حلم امي؟ مجرد لغو رومانسي.. استمرت العمة "صوفيا" في الحديث وهي تبتعد عن النافذة.

- انت مخطئة عندما تتهكمين. لانني أرى نفس الشيء الذي تراه

www.rewity.com

أمك: الموسيقى ستتوقف. تصلب جسد "ناديا" وقالت:

- ماذا تعنين بـ"الموسيقى ستتوقف"؟ فجأة تجهمت واكفهر وجهها:

- تقصدين موسيقاي؟

هزت العمة "صوفيا" رأسها بنعم.

- وهل ستعود ثانية؟

- لم أشاهد ذلك في الفنجان.

- ومتى ستتوقف؟

- لم أر ذلك.

- وهل هو الذي سيحرمني منها؟

هزت "صوفيا" كتفيها ووضعت الفنجان فوق الطبق داخل الخزانة المنجدة بالقطيفة من الداخل والتي صنعها جدها بنفسه منذ قرن. كان تردد المرأة العجوز يخفي شيئا ما على ما يبدو.

- لم أشاهد شيئا.

- وهل شاهدته أمي؟

كانت أمها "أولينكا" وأخواتها الثلاثة مثل أصابع اليد، وكان الإخوة الأربعة "كندرا تافيتش" قد حمدوا الله على معجزة السلام الذي ساد بين الزوجات الأربع للإخوة الأربعة. ومع ذلك كانوا يلعنون نفس الزوجات عندما تتفق على تنفيذ قرار ما أو عمل ما، ومهما كان الأمر فإنه من المؤكد أن "أولينكا" كانت تبوح بأسرارها إلى صديقتها "صوفيا".

ردت على سؤال الشابة:

-لا. إنها لم تشاهد شيئا.

- ألهذا السبب أرسلتك؟ إن كل الناس يخشون الفشل الذي قد تنتهي إليه الضيعة. أليس كذلك؟

هبت الشابة إلى عتبة الباب. كان العمان "يوريك" و"روبا" يعملان بالخارج في سور التحويطة. لقد كانت المهمة صعبة بسبب نقص المواد والآلات اللازمة. لقد أقنعت "ناديا" أسرتها بأن تهجر ممتلكاتها كلها قبل أن يقوموا بالقفزة الكبرى إلى "أمريكا"، وذلك حتى يعيشوا حياة الحرب والجوع. فهل ارتكبت خطأ؟

قالت لها "صوفيا":

- لا أحد يخاف أن تفشلي. إن هذه الضيعة هي بيتنا الآن أيضا حاليا، ولابد أن نعمل بجهد حتى نجعلها تزدهر. لقد قمت بواجبك ونصيبك يا ابنتي. عندما كانت "ناديا" في الثامنة عشرة من عمرها لم تكن أقل في السن من عمتها "صوفيا" إلا بخمس سنوات.

- لم أعد طفلة من سنوات طويلة.. متى تدركن ذلك؟

قالت "صوفيا" تغيظها:

- عندما ترضعين أول طفل لك، ولكن إن كنت تقلقين على الموسيقى فإنني أستطيع أن أطلب من "بيلينا" أن تقرأ لك خطوط كفك.

- اتركي أختي الصغرى خارج هذا.

- إن "بيلينا" في الثامنة عشرة من عمرها.. إنها امرأة.

- لا.. إن أمامها أمورا كثيرة لتتعلمها. ثم لماذا تعتبرينها امرأة بينما أنا في عينيك دائما طفلة؟

قالت "صوفيا" وهي تحتضنها:

- لأنني أحب أن أغيظك ولكن لا تنسي أن أختك ربما كان عليها الإجابة التي تنتظرينها. إن عندها موهبة قوية جداً.

- أعرف. كانت موهبة قراءة الكف التي أظهرتها "بيلينا" مرعبة. حمدت "ناديا" الله أنها لا تمتلك موهبة التنجيم إن موهبتها وعشقها الوحيد هو الموسيقى. إن تلك الألحان التي تسبح باستمرار في عقلها

www.rewity.com

هي ثروتها الحقيقية:

- أفقد موسيقاي؟.. إن هذا يعني أموراً كثيرة تسبب ذلك من التهاب الحنجرة إلى الموت.

تلت "صوفيا" صلاة ورسمت علامة الصليب على صدرها وقالت لها:

- لا تقولي لي شيئا كهذا.

- إنني أمزح.

ظهرت سيارة على الطريق البري، وتعرفت المرأتان في الحال على السيارة المكشوفة الخاصة بـ"أوين بريسكوت". وقفت السيارة الـ"فوردموستانج" أمام البيت همست "صوفيا":

- إنه آت ومعه هدية.

- لا باس مادام قد حضر وليس معه المامور.. كانت ممزقة بين عاطفتين: فرحة رؤية "أوين"، والخوف من أن يحمل إليها خبرا سيئا مثل أمر بالقبض عليهم.

ابتسمت عندما رأت "أوين" ينزل من السيارة ثم يحضر من المقعد الخلفي تمثالا من ورق الكروشيه لونه فاضح. همست العمة "صوفيا" في أذنها:

- اترين؟ إن أوراق الشاي لا تكذب أبدا.

كان التمثال على شكل حمار وأصر "أوين" على أن يُملأ حتى فمه بالبنبون والشوكولاتة والدروبس كان يريد أن تتذكر عائلة "ناديا" أول "بيناتا" له: والنتيجة أن طول الحيوان كان يقترب من المتر وكان وزنه مناسبا.

قاومت "ناديا" رغبتها الملحة أن تصعد وتبدل ملابسها وتمشط شعرها كانت هذا الصباح أخرجت الجواد "خزانة" لنزهته اليومية ولم يكن لديها وقت لتخلع البنطلون الجينز والقميص الأزرق حائل اللون،

أما شعرها فكان وكأنها خرجت من شجار حريمي. كان الجهد الذي بذله "أوين" في حمل "بيناتا" قد ابرز عضلات ذراعيه. لم تكن "ناديا" تعرف ماذا يفعل في أيامه؟ ولكن شيئا واحدا مؤكدا هو: أنه لا يقضي حياته وراء مكتب ويستخدم قلم حبر.

وضع "أوين" التمثال الورقي بزقة فوق الشرفة ثم التقط أنفاسه. استدار نحو الشابة التي كانت صورتها من يومين تطارد خياله وأحلامه.

- هل تريدين أن أحمل الحيوان إلى الداخل؟

في رأيي أنه ممتاز هنا مادام الأطفال سيكسرونه إلى الف قطعة..

خرجت "ناديا" إلى الفناء الذي يغمره الضوء وسألت:

- هل سيحطمونه؟

- نعم إنه مصنوع من أجل ذلك، وعندما ينفتح فإن الأطفال سيغرقون في الحلوى بحثا عن الكنز.

- ولكن كيف يمكن فتحه؟

- أنت تربطين عيني أحد الأطفال بشريط وتعطينه عصا، ثم تجعلينه يدور حول نفسه عدة مرات، ثم عليه بعد ذلك أن يكسر الحمار، وإذا لم ينجح الطفل الأول بعد عدة محاولات، يحاول طفل آخر أن يجرب حظه وجميعهم معصوبو العينين وعندما يبقر بطنه فإنه الغزو بالنسبة للجميع

- خسارة أنه لابد من كسره.

- هذه قواعد اللعبة يا "ناديا".. أتعرفين أنه مجرد تمثال من الورق الكروشيه المضغوط؟

صعد عما "ناديا" إلى الشرفة، ومن تعبيرهما أحس "أوين" أنهما لن يحييا، توترت عضلاته واتخذ موقف الدفاع.

www.rewity.com مرموريت

خلع "روبا" و"يوريك" قبعتيهما وابتسما وقالا في وقت واحد:

- مرحبا بك في دارنا يا صديق.

مد له الاثنان يديهما. صافح "أوين" اليد الأولى التي وصلته وهو مبهوت. لابد أن "ناديا" أعطتهم درسا قاسيا حول قواعد الضيافة الأمريكية.

- صباح الخير.. اسمي "روبا".

- تشرفنا.

أمسك "أوين" بيد الثاني القوية والذي كان جسمه يدل على استعداده لمصارعة "كنج كونج".

- أنا "يوريك كندرا تافيتش".. مرحبا بك.

- كيف حالك يا "يوريك"؟

أشرق وجه الرجل وهو يعصر أصابعه.

- بخير.

قال "أوين" وهو يسحب يده.

- هذا واضح! لقد أحضرت هدية للأطفال.

نظر الأخوان إلى الحمار في حيرة فشرحت "ناديا" وهي تضحك:

- إنها "بيناتا".. يجب العثور على مكان لتعليقها.

قال "روبا":

- هل شجرة البلوط بالقرب من المخزن تفي بالغرض؟

أجاب "أوين":

- ممتازة.

انحنى ليرفع الحمار وعندما رآه "يوريك" يئن تحت ثقله رفع "البيناتا" وكأنها ريشة طائر وحملها إلى الحقل.

قال "أوين" مازحا:

- هذا رجل يجب أن يأكل "كورن فليكس" في الصباح.

انفجرت "ناديا" ضاحكة وهبطت الدرجات القليلة بخطوات مرحة ثم نادته:

- هل ستأتي

كان "أوين" واقفا في مكانه مشغولا في فحص تفاصيل جسد الشابة التي ارتدت جينزا ضيقا ثم قال:

- أنا وراءك تماما.

أخذت "ناديا" ترتجف مع كل ضربة عصا.. كان "زوللي" أصغر الأطفال يحاول كسر الحمار، ولكن دون جدوى بينما شكل بقية الأطفال حلقة حول الـ"بيناتا" وهم على استعداد لعملية الغزو. كانت الأمهات يصحن مشجعات والآباء يراهنون على الصبي الذي سينجح في كسر التمثال. كان كل أعضاء الأسرة مجتمعين هناك وقد استدعتهم "صوفيا" عن طريق طرقها على المثلث المعدني المعلق على الشرفة.

قال "أوين" ساخرا متأثرا بهذا الجمع:

- هل أنت متأكدة من أن كل الناس هنا؟

- تمام الثقة. هل تظن أننا كنا سنبدأ بدونهم؟

- إنني أتساءل فقط ماذا فعلت لتتأكدي؟

- إنهم عائلتي. عندما ينمو الإنسان وسطهم يحس في الحال عندما لا يستجيب أحدهم للنداء.

- ألا يتوه الأطفال أبدا؟

حلت فتاة صغيرة محل "زوللي".

- نعم أخي "ميكول" ولكن هذه لا تحتسب. أشارت بذقنها إلى شاب صغير في العشرين من عمره يرتدي الجينز والـ"تي-شيرت". سألها:

- ولماذا لا تحتسب؟

www.rewity.com

- إن "ميكول" دائما يحب أن يلعب لعبة عسكر وحرامية إنه له روح غجري حقيقي.

جاء دور صبي في الثانية عشرة من عمره لتجربة حظه. دهش "أوين" من كلامها:

- لكني اعتقدت أن كلكم غجر.

أجابت "ناديا" بكل فخر:

- هذا صحيح ولكن "ميكول" يحب دائما الرحلات.

عندما كان صغيرا كان يبتعد دائما عن المخيم. وهو مراهق كان يهرب دائما. إنه لم ينضم إلى الأسرة في الرحلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية وقد رحل وهو في سن السادسة عشرة كمغامر.

- ألا يستطيع والداك أن يحتفظا به.

- لن تستطيع أن تمنع الريح. إن "ميكول" مثل الريح. كلنا مختلفون وسبب قوتنا اننا نقبل هذا الاختلاف.

بلغت الإثارة ذروتها وتضاعفت الصيحات وحاول الأولاد الأكبر سنا فرصهم. تجاهل "أوين" الصخب وركز على الحزن المفاجئ الذي برز في عيني "ناديا" مد يده ليبعد خصلة شعر عن وجهها ثم سألها هامسا:

- من أنت بالضبط يا "ناديا"؟

- مجرد مغرمة بالموسيقى وامراة عليها مسؤوليات.. ونواح سيئة.

انطلقت صيحة انتصار وتصفيق. أخيرا نجح أحدهم في كسر الـ"بيناتا". سقطت منها الحلوى والبنبون والشوكولاتة والأوراق الملونة والصور في كل اتجاه. بينما أخذ الحمار المبقور البطن يلف في الهواء غاص الأولاد يحاولون الحصول على الحلوى وهم يتشاجرون.

مالت "ناديا" لتلتقط قطعتي حلوى طارتا حتى قدميها وناولتهما لطفل صغير جدا لتساعده على الدخول في معركة الأسلاب قائلة:

- خذ يا حبي!

لم تفت "أوين" أي جزئية من حركتها. كيف تقول عن نفسها إن بها جوانب سيئة وهي رقيقة ومهتمة لهذه الدرجة؟.. كيف يمكن أن يصدقها؟

- أتقولين إنك بلا قلب.. مع انك تساعدين طفلا بلا حماية في الحصول على قطعة حلوى.. ألا تخجلين؟

- أنا لم أقل إنني بلا قلب.

- مجرد سيئة.. هل هذا كل ما هناك؟

قالت وقد احمر وجهها قليلا.

- هذا هو..

لم يستطع "أوين" أن يمنع نفسه من الضحك وقال:

- أنا لا أصدق كلمة واحدة.

ردت عليه:

- أنت لا تعرفني.

تجهم وجهها وانقلبت سحنتها ووجدت نفسها وجها لوجه مع والدها. أمسك الرجل بابنته وهو لايزال يبتسم لـ"أوين" وقال وهو يضربه على كتفه في مرح:

- صباح الخير يا صديقي الجديد.. لقد حضرت للغداء.. كان "أوين" قد غزا كل الأسرة بـ"البيناتا". ومع ذلك حاولت الشابة أن تحفظ مسافة بينهما، بأن تجعله يعتقد انها ليست كما تبدو. إنها مخطئة لأنها بذلك لا تفعل سوى أن تؤجج فضول "أوين"؟

www.rewity.com مـــور

الفصل الثالث

كانت "ناديا" تختلس نظرات سريعة على الرجل الذي يسير بجوارها في العتمة. لقد كان "أوين" رجل المتناقضات. إنه وريث لثروة ضخمة، وكان من الواجب أن يعيش حياة الأمراء، وان يعتاد تناول الطعام في الأواني الصينية الرقيقة، وادوات مائدة من الفضة، ومع هذا فإنه في هذا المساء أخذ مكانه فوق دكة خشبية واندمج في الوجبة العائلية بمنتهى الطبيعية. لقد شرف الطهي الغجري بانه طلب مرتين ملء طبقه مما أسعد نساء المخيم واللاتي هنانه على شهيته.

كانت تخشى أن يتقزز من منظر معسكر "كندرا تافيتش". إن الذوق الرفيع لم يعرف طريقه إلى حياتهم. لقد ظلت العشيرة تقدس الحرية التي تتماشى مع نمط حياتهم، ولاترى العشيرة سببا لتغييرها عندما استقرت في الولايات المتحدة. لقد انفقت "ناديا" ثروة صغيرة لتحضر العربات الأربع الرحل الكبيرة إلى "امريكا" من "اوروبا" والخاصة

بالعائلة. كانت العربات مصطفة على شكل دائرة في أجمل بقعة فسيحة من الضيعة وتشكل قلب المخيم. لقد اقنعت "ناديا" أسرتها أن تقبل أيضا مقطورتين حديثتين مزودتين بالمياه الجارية والتدفئة ودورات المياه.

ربما كانت هذه الحياة تبدو في عيون الأمريكيين حياة قاسية وبدائية ولكن عائلة "كندرا تافيتش" يحسون بانهم يعيشون حياة فاخرة مبذرة. قال لها "أوين":

- تبدين صامته تماما.

- عفوا.

كانت هذه النزهة عند الغسق قد جعلتها عصبية ربما لانها تحس بشعور من الالفة شبه الخصوصية مع الرجل الذي تعرفه بصعوبة. كانت ترغب في أن تطيل هذه اللحظة وهي تعلم انهما سرعان ما سيصلان إلى البيت ثم يرحل هو.

سالها "أوين":

- هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالا؟

- هيا اسأل.

- ما الذي كان في اليخني الحريف؟ لقد تعرفت على بعض النباتات غير المعروفة بين الخضراوات ولكن بعض المكونات كانت مجهولة تماما لي.

- هل تريد أن تعرف حقا؟

تردد "أوين":

- اخبريني فقط لو أن ذلك لن يقلقني.

- لا.. ما لم تكن نباتيا. من الواضح انني لم اشاهد هذا الطبق على اي مائدة امريكية ابدا ولكنه اعجبك.. اليس كذلك؟

كانت تتحدث بلهجة ماكرة.

رد عليها:

- نعم أعجبني كما أعجبتني الصحبة.

عندما وصلا إلى قمة التل الصغير اكتشفا أسفل التل البيت والمخزن. كانت "ناديا" قد تأملت هذا المنظر مئات المرات، وفي كل مرة كان يتملكها إحساس لذيذ بانها وجدت اخيرا بيتها.

قالت له:

- شكراً لأنك كنت متفاهما مع أبي واعمامي.

- إنهم اشخاص رائعون. عندما لا يحاولون طبعا ان يشنقوا جيرانهم.

ابتسم وهو يتذكر رائعون "روبا" بقانون الشرق الأقصى: الغجري مقتنع بان عقاب الموت هو جزاء من يسرق علف الماشية.

قالت:

- انا شاكرة لأنك لم تقدم ضدهم شكوى.

- على أية حال. إن مغامرة ذلك اليوم الفاشلة لم تكن غلطتهم كلية.. لابد أنني اقتحمت المكان بطريقة عنيفة. على كل فهذه عادة مشتركة فينا جميعا.

مرا أمام مخازن الغلال والعلف واتجهت "ناديا" في عناد ناحية السيارة. إنها لا تريد أن تعرف ما هو مشترك فيما بينهما. إن غريزتها كامرأة وغجرية تصرخ فيها أن "أوين" لا يمكن إلا أن يجلب عليها المتاعب، وهي في اللحظة الراهنة لديها ما يكفيها من مشاكل وأكثر.

قال لها:

- نحن نظهر مدافعين أكثر من اللازم عن عائلتنا ونحاول حمايتها.

- أليست هذه العادة عند كل الناس

قال "أوين" وهو يتكئ على غطاء محرك سيارته:

- لا.. هل قلت أو فعلت شيئا ضايقك الليلة يا "ناديا"؟

- لا بالطبع.. ولماذا هذا السؤال؟

وقفت أمامه واخذت تلعب في عقدها وهي تنتقل من قدم للأخرى.

قال:

- إذن يمكننا القول: إنني أشعرك بعدم الارتياح: تركت "ناديا" عقدها واخذت تستمع إلى الأغنية التي تتردد في ذهنها. إن الموسيقى موجودة دائما في عقلها.. إنه لم يقتل موهبتها. ابتسمت في سرور.. كيف يمكن أن ياخذ منها موسيقاها؟

ثم قالت بعد برهة:

- لست خائفة منك؟

أجاب وابتسامة عريضة على شفتيه:

- ممتاز! إذن ستقبلين العشاء معي مساء غد؟

تلعثمت وهي تحاول يائسة أن تجد عذرا:

- إيه.. هذا يعني أن..

- مجرد عشاء يا "ناديا". إن عمتك تقول: إنك تعملين كثيرا.

زمجرت الشابة:

- أي عمة؟

- "صوفيا" إنها تقول: إنك لم تخرجي مرة واحدة منذ وصولكم من خمسة أشهر.

سالته "ناديا" وهي ثائرة وميتة من الشعور بالعار:

- وماذا قالت أيضا؟ ما الذي قصوه عليك؟

- إنها ليست غلطتهم حقا. لقد كنت أستمتع بان انتزع الحقيقة منهم.

www.rewity.com

- لماذا؟

- لأنك تعمدت تجنبي منذ فتح الـ"بيناتا". في البداية فكرت انه ربما هناك رجل في حياتك ولكن "صوفيا" أكدت لي العكس.

- إنه من الأفضل لـ"صوفيا" أن تهتم بشؤونها.

- إنها تحبك كثيراً مثلها مثل كل الأسرة، ولكنهم يخشون أن ينتهي بك الأمر إلى أن تصبحي عانسا.

صاحت "ناديا" وهي تشعر بالمهانة الشديدة:

- ماذا؟

بعد كل الذي ضحت به من أجلهم كيف يمكنهم أن يقولوا مثل هذه الأشياء في حقها؟ منذ شهور وهي لا تفكر إلا في اغنيات البومها. إنها تعيش وتاكل وتنام ودائما اغنية في عقلها. كل هذا من اجلهم، وهم يعاملونها على أنها عانس! لقد انساها الغضب ابسط درجات الحرص.

- في أي ساعة غدا؟

إنها ستريهم.. أن اسرتها تلقي بها بين ذراعي هذا الرجل الذي لا يحمل الدم الغجري، وعلى هذا الأساس لم تدهش عندما شاهدت والدها ياخذ "اوين" جانبا ليتناقش معه في شروط عقد الزواج. بما يساوي في نظرهم اربعة خيول وجوالا من قطع الذهب!

* * *

مساء اليوم التالي وفي تمام الساعة السابعة إلا دقيقة صف "اوين" سيارته الموستانج المكشوفة أمام بيت "ناديا". في الحقيقة لم يكن يشعر بالغبطة؛ فقد احس حقا انه أجبرها على قبول دعوته لها على العشاء. واثناء الليلة الماضية حاولت الشابة أن تتجنبه خلال الوجبة العائلية، فقد جلست على الطرف الآخر من المائدة الطويلة التي اصطف أمامها

الواحد والثلاثون عضوا "كندرا تافيتش" وحتى يستطيع أن يحدثها كان يحتاج إلى مكبر صوت او جهاز تليفون داخلي.

وعندما عرض عليها دعوته توقع أن ترفضها. ألقى نظرة على المرآة العاكسة ليتاكد من أن رباط عنقه مضبوط. وأخذ باقة الزهور الصغيرة التي كانت موضوعة على الأريكة الخلفية للسيارة. رنت خطوات حذائه على درج الشرفة ثم رن جرس الباب.

فزعت "ناديا": لقد حاولت ثلاث مرات أن تدير رقم "اوين" لتلغي الدعوة،ولكنها كانت تغلق السماعة بعد أول رنة جرس. على أية حال أليس "اوين"هو الرجل المثالي؟ إنه واثق من نفسه، وذكي، ويحب الأطفال. ومليح، وهو ما لا يمكن أن يفسر أي شيء. المشكلة أنه وصل متاخرا ثلاث سنوات..

وقفت أمام المرآة ورفعت خصلة شعر متمردة. الماضي هو الماضي وهي من حقها أن تستفيد من هذه الليلة. من يدري فربما أوحى لها "اوين" باخر اغنية في البومها.. أمسكت بحقيبة يدها الصغيرة من فوق التسريحة وغادرت الغرفة.

عندما فتحت الباب تحولت ابتسامة "اوين" التي رسمها على شفتيه لهذه المناسبة إلى صفير إعجاب. إنه كان يعرف بالفعل أن شكل "ناديا"وجسدها لابد أن يثيرا انتباه من يراها، ولكن المرأة الواقفة أمامه يمكنها أن تسكت أسدا دون أن ترفع في وجهه سوطا.

كان ثوبها ضيقا بلون أحمر مبهر يبرزجمال جسدها ورقته، خاصة صدرها وساقيها حيث علقت سلسلة ذهبية، وأسنانها ذات البياض الناصع تبرز من شفتين ممتلئتين، وعيناها سوداوان يلمعان كالأحجار الكريمة. تظاهر بالسعال حتى يخفي عدم رقة صفيره، مد لها يده المضطربة يقدم لها باقة الزهور قائلا:

www.rewity.com

- انت فاتنة يا "ناديا".

ردت عليه وهي تقبل منه الباقة:

- شكراً. هل يناسبك هذا الثوب؟ إنك لم تقل لي أين سنذهب؟

إنها لا تملك -في الحقيقة- سوى حفنة صغيرة من الأثواب قليلا ما استخدمتها واشترتها عند وصولها إلى "امريكا" عادة من الأوكازيون إرضاء لرغبة مدير الملهى باعتبارها مغنية سهرة.

وقد امتلأ دولاب في الدور العلوي في حجرة غير مستعملة بملابس السهرة ذات الظهور العارية، وفتحات الصدر الواسعة، وفتحات الساقين حتى الوسط. أما هذا الثوب الذي ترتديه الآن فهو ينتمي إلى حياة أخرى لا دخل له بحياة الملاهي الفاضحة. لقد أغلقت ذلك الدولاب بالمسامير..

خفف "أوين" من عقدة رباط عنقه وتنحنح:

- انت رائعة وكاملة الفتنة.. صدقيني!

خفضت عينيها إلى باقة الزهور وقالت:

- شكرا.

- يجب أن تضعيها في فازة مع قليل من الماء حتى لا تذبل.

- أنا لا اشكرك على باقة الزهور وإنما على..

- ألا تعجبك؟

- بل تعجبني بالتأكيد.

أخذت فازة شفافةمن الدولاب المعلق فوق الموقد في المطبخ، وأخرجت الزهور من لفتها ونظمتها واحدة بعد الأخرى، وهي تحس بنظرات "أوين" مركزة عليها. أطفأت النور وخرج الاثنان إلى الشرفة: سألها:

- الن ترتدي سترة تغطي كتفيك؟

ردت

- لا.. إن الليلة تبشر بانها حارة.

عندما تاملها "أوين" وهي تهبط درجات الشرفة متجهين نحو سيارته المكشوفة - فكر أن هذه الليلة في الحقيقة تبشر بأن تكون شديدة الحرارة.

ابتسمت "ناديا" ابتسامة مؤدبة للشاب الذي فتح لها باب السيارة لتهبط منها ثم نظرت إلى الواجهة الرائعة للمبنى: أعمدة بيضاء وأبواب كبيرة على شكل نوافذ، ونباتات خضراء منتشرة. وفي العمق سمعت صوت خرير الماء الرقيق في نافورة.

أحست الشابة بان قلبها ينقبض.. إن "أوين" يصحبها للعشاء في أرقى مطعم في المنطقة "نادي فوكس تشيس كونتي". إن الدخول إليه يتطلب اشخاصا ترجع أصولهم إلى عصر الرواج. كان يرتاده أعضاء الطبقة الأرستقراطية القديمة في المجتمع المحلي.. باختصار أشخاص مثل "بريسكوت" أعطى "أوين" مفاتيح السيارة للبواب قبل أن يلحق بالشابة. كان مرتديا حلة رمادية داكنة، وقميصا أبيض، ورباط عنق مخططا. كان يبدو عليه الثقة بالنفس والثراء.. والجانبية الرهيبة. إنه يصلح صورة لغلاف مجلة الموضة الراقية. أما "ناديا" فكانت ترتدي زيا وكانها ستجلس أمام البيانولتغني إحدى أغنيات "نات كن كرل".

أمسك "أوين" بذراعها برقة، وصعدا الدرجات القليلة.. ظهر شاب يرتدي زيا رسميا من مكان ما ليفتح لهما الباب. ارتجفت "ناديا" وهي تدخل المكان سالها "أوين":

- هل تشعرين بالبرد؟

- لا.. إنه مجرد تغيير الجو.

تجولت بانظارها في المكان الراقي: كان ارتفاع السقف خمسة أمتار حيث تدلت الثريا الكريستال، الأرضية من الرخام المغطى بالسجاد

www.rewity.com مـــرمـــور

العجمي، ونباتات ظل خضراء في ارتفاع الأشجار تكسر من حدة الجدران المطلية باللون الأبيض اللامع.

تساءلت: لابد أن الأغنياء لا يحبون الألوان؟

انحنى رجل في الخمسين من عمره ليحيي "أوين" ثم الشابة:

- سعيد أن نراك بيننا يا سيد "بريسكوت".

- تشرفنا يا آنستي!

ضحك "أوين" وهو يضرب كبير الخدم على كتفه في ود:

- لا داعي لكل هذه المجاملات يا "چورج".

- أنت تعلم يا سيدي أنني أخاطر بفقد عملي إذا لم أستقبل العملاء حسب القواعد والتقاليد.

- يمكنك أن تأتي لتعمل في أحد مواقع العمل عندي في أي وقت، وساوظفك في الحال.

- إن سيدي لطيف للغاية ولكني عجوز لا أصلح للعمل في الخارج.

صحبهما كبير الخدم عبر صالة الطعام إلى أن وصل بهما إلى مائدة منعزلة تطل على منظر الحدائق الفاخرة والبديعة.

جلست الشابة وبدأت تسترخي لأول مرة في السهرة. لقد أحست بالخلاص عندما شاهدت ستارة من النباتات الخضراء تحجب مائدتهما بمعزل عن نظرات المتطفلين.

- إذن هذه هي مهنتك..؟

- ما هي؟

- لقد تحدثت عن مواقع إنشاءات مباني. أنت تعمل في مجال المباني والإنشاءات. لقد كنت أتساءل: عم تفعله لتحافظ على لياقتك البدنية الراقية هذه؟

أرادت أن تعض لسانها لتسرعها.. لماذا تقول له بطريقة مواربة إن

لديه جسداً يغري الراهب؟

- إنني لن أفعل سوى قبول هذه المجاملة التي صدرت من فم الآنسة "كندرا تافيتش".

- أنت تعرف أنني مجاملة للجميع.

- لا، بالنسبة لي.

كان يحب أن يرى وجهها تعلوه حمرة الخجل.

قال النادل:

- يا سيدي!

- ماذا هناك؟

- هل تريد فحص قائمة المشروبات قبل طلب الطعام؟

أخذ "أوين" الكتيب المكسو بالجلد الأسود ودس فيه أنفه يتفحصه. إنه لم يسبق له أن دعا فتاة إلى المطعم ليتغزل في جمالها. ما الذي جرى له؟ إنه لم يعد مراهقا يطارد الحسان. أغلق الكتيب فجأة وطلب زجاجة عصير عنب.

ابتعد النادل بعد أن شكره. اكتشف مدى جليطته؛ لأنه لم يأخذ رأيها لذلك سارع بالقول:

- لقد طلبت عصير العنب مالم تفضلي شيئا آخر.

قالت وهي تبتسم:

- إنه ممتاز ولكن لتعلم أنني لست أميل كثيرا للسكريات والعصائر، إن كاسين كافيتان لأن أذهب وسط القاعة وأغني أغاني "فرانك سيناترا".

تصور "أوين" المشهد لو حدث.. نصف النساء الحاضرات سيفقدن الوعي بينما سيصفق السادة في صمت إعجابا، ثم سيسحب "نادي

www.rewity.com مـــرمـــوريـــة

فوكس كيس كونتري " بطاقة العضوية منه وهو ما يعد صفعة كبرى إنه لا يحضر إلى النادي إعجابا بكبير الطهاة الفرنسي ولكن ليسعد الزبائن الذين يدفعون له بسخاء كي يبني لهم منازلهم. هذا المساء قرر أن يصحب "ناديا" إلى "نادي كونتري" أملا دون شك أن تنبهر بثرائه وطبقته الاجتماعية وبسحره كرجل راق في الجنوب. لقد كانت غلطة خطيرة. كان من الأفضل لو صحبها إلى مطعم "ماري بل" تلك البدينة التي تقدم أحسن دجاج محمر في المنطقة كلها. كرر ما قالته وهو شارد:

- "فرانك سيناترا؟ وماذا بعد ثلاث كؤوس؟

- وقتها من المحتمل أن أقلد "مادونا".

انفجر "أوين" ضاحكا، واستدارت عدة رؤوس نحو الثنائي شبه المختفي وراء النباتات الخضراء.

* * *

أسندت "ناديا" ظهرها على الباب وابتسمت قائلة:

- شكرا لهذه السهرة الممتازة.

وضع يده على إطار الباب بينما الأخرى ترفع خصلة شعر من فوق وجه الشابة وقال:

- أرجوك.. هل تتعشين معي مساء غد؟

- أسفة.. لا أستطيع.

- وبعد غد؟

- من فضلك يا "أوين". دعنا لا نفترق على شجار، أنت لطيف جدا ولقد تمتعت كثيرا.

- ولكن؟

- لم يكن من الواجب أن أقبل هذه الدعوة. لقد كانت فكرة سيئة

- إذن لماذا لم تلغيها؟

- لقد حاولت ثلاث مرات.

أخذت تراقب القمر من فوق كتف "أوين" وكذلك رؤوس أشجار البلوط الضخمة التي تتأرجح خفيفا عن بعد. جاء صوتها همسا:

- ولكن لم أجد الشجاعة لأفعل ذلك.

- لماذا؟

- كي أكون صريحة تماما معك. أنا أجدك جذابا جدا لدرجة الخطر، وأفضل ألا نتقابل أبدا؛ إن الإغراء سيكون قويا جدا..

- دعيني أحاول أن أفهم هذا الكلام: أنت لا تخرجين مع أحد وتعتبريني جذابا وقضيت سهرة جميلة جدا.. ولكنك لا تريدين رؤيتي!

- لم يخلق كل منا للآخر يا "أوين" وأنا أسفة. مرر أصابعه في شعره، ثم خطا بضع خطوات في الشرفة. بدا وكأنه يتلو صلاة أو يقول دعوات.. أو ربما دفعة من السباب. ثم فجأة عاد إلى الهجوم. ركز عينيه في عيني "ناديا" فأخذت ترتجف. كان من الواجب أن تهرب وأن تجري لتحتمي بداخل بيتها، ولكن ساقيها لم تطيعاها، وتسارعت ضربات قلبها قال لها:

- كيف تقولين: إننا لم نخلق لبعضنا؟

لم تجب "ناديا" وقد أنشغلت في كتم دموعها. تساءلت:

ما الذي فعلته؟ لم يكن من الواجب أساسا أن تخرج معه. إن تكرار

www.rewity.com

الخروج معه لن يكون من نتيجته إلا تعقيد الأمور معها وهي معقدة في الأصل بما فيه الكفاية.

قالت له بنبرة كلها يأس وهي تحاول كبت مشاعرها:

- سامحني يا "أوين" لم يكن من الواجب أن يحدث بيننا ما حدث.

رد عليها بانفاس لاهثة:

- لقد فات الأوان.

تساءل: لماذا تتهرب منه هكذا؟ لقد سارعت بالفعل إلى المطبخ لتجد فيه ملجأ واستعدت لتغلق الباب وراءها وقالت:

- لابد أن أذهب..

- إنني لن أستسلم أبدا يا "ناديا"..

اكتفت بهز رأسها وقالت:

- وأنا لن أغير رأيي.

انغلق الباب.. همس "أوين" وعيناه مركزتان على ضلفة الباب:

- هذا ما سنراه.

لماذا تنكر ما هو واضح جلي؟ لقد شك في أن رد فعلها له صلة بالتعليق الذي نطقته في الليلة الماضية عندما قالت: إن لديها جوانب سيئة. ما الذي يمكنها أن تخفيه وهو سيئ ورهيب لهذه الدرجة؟ هل غشت في قراءة الحظ في أوراق اللعب أم انخدعت في رؤية الكرة البلورية أم انخدعت في قراءة كفها؟ وما الأهمية في ذلك؟

فكر "أوين" أن هناك أمراً مؤكداً وهو أنه لن يترك الأمر هكذا معلقا بسهولة، واتجه إلى سيارته.

سمعت "ناديا" صوت السيارة وهي تبعد، ومسحت دموعها التي سالت على خديها: إنها تعلم أن ما فعلته هو الأفضل وأن من الخير أن

تقطع في الحال. قبل أن يشعر "أوين" بالاحتقار لها.

ثم إن لديها ما هو أهم من أن تلقي بنفسها في مغامرة حب: إن أمامها البوما غنائيا لابد أن تنتهي منه. أغمضت عينيها وهي تستعد لتلقي الإلهام للحن يهدئ من روعها فتحت عينيها الواسعتين في الحال. بدا تعبير الرعب على وجهها.. اكتشفت أن روحها خاوية! لا يوجد كلام سحري ولا انغام سماوية! وإنما الصمت المطبق. لقد رأت "صوفيا" وأمها رؤية صحيحة. لقد توقفت الموسيقى، لقد تدمرت "ناديا". لقد سرق "أوين" منها موهبتها الوحيدة.

www.rewity.com

الفصل الرابع

رفع "أوين" عينيه من فوق المستندات المبعثرة فوق مكتبه. انفتح الباب. أضاءت وجهه ابتسامة عندما شاهد الشابة التي تحاول أن تنزع نفسها من ذراع "سباستيان" قال وهو ينهض مرة واحدة:

- "ناديا"!

قال كبير الخدم في ارتباك:

- أنا آسف يا سيدي!

- كل شيء على ما يرام يا "سباستيان"، واعلم أن الآنسة "كندرا تافيتش" موضع ترحاب هنا في هذا المنزل في أي وقت.

استدار "أوين" في دهشة نحو الشابة:

- ما الذي فعلته حتى تخدعي حراسة "سباستيان"؟

كان كبير الخدم قد عمل بإخلاص في خدمة آل "بريسكوت" واحدا وثلاثين عاما، وكان يمارس الرقابة والحراسة التي لا يمكن اختراقها:

كان قويا وضخم الجثة، ويتميز بكل صفات كلب الحراسة وإخلاصه الشديد للعمة "فيرنا".

ابتسمت "ناديا" ابتسامة ماكرة:

- لقد فعلت كما يفعلون في لعبة كرة القدم.

فقد تظاهرت أنني سارحل من جهة اليمين ثم اندفعت بأقصى سرعتي نحو الشمال.

انحنى "سباستيان" وكأنه يعترف بهزيمته:

- هل سيدي في حاجة إلى شيء آخر؟

- لا. كل شيء على ما يرام يا "سباستيان".

رحل كبير الخدم وركز "أوين" على الشابة:

كان شعرها مسدلا وخداها محمرين وبدت مليئة بالحيوية والنشاط، ومع ذلك فتحت نظراتها عندما وضعت كفيها على مكتب "أوين"، وصاحت:

- ستعيدها لي في الحال!

- ماذا إذن؟

كزت "ناديا" على فكيها ومالت قليلا للأمام:

- موسيقاي.

كانت خمسة أيام من الصمت قد أصابتها بالجنون والخبل والإحباط. لا توجد كلمة أو نغمة أو لحن مر بذهنها منذ خمسة أيام وليال. كيف انتزع منها "أوين" ذلك؟ إنها لا تعرف. لقد كانت الموسيقى موجودة أثناء عشائهما الأخير معا، بل حتى أثناء عودتها بالسيارة المكشوفة وهي تستمتع بنسيم الليل المنعش فوق وجهها.

لقد كانت الموسيقى موجودة حتى لحظة..

- ولكن عن أي شيء تتكلمين؟

www.rewity.com مـر مـوريـة

صاحت الشابة:

- أعني أغاني! هل أنت أصم؟

- لقد فقدت أغانيك وتظنين أنها غلطتي؟

- أنا متأكدة من ذلك.

- ومتى ضاعت منك؟

- لقد كانت معي عندما تناولنا العشاء في المطعم، ولكنها اختفت عندما أوصلتني إلى بيتي.

- لا داعي للهلع يا "ناديا". لابد أنها في مكان ما.. ماذا كانت بالضبط؟ شريط تسجيل لتدريبات؟ سأتصل بنادي "الكونتري" لأعرف إن كانوا قد عثروا عليه..

رفع سماعة التليفون وقال:

- أو ربما نسيته في السيارة وقد يكون انزلق بين المقاعد.. على أية حال لماذا حملت معك شيئا ثمينا مثله؟

كان قد أدار رقم النادي بالفعل. مدت "ناديا" يدها وهي تزفر واغلقت الخط.

- لا داعي للاتصال؛ فإن موسيقاي ليست في "نادي كونتري".

ذهبت إلى الباب الزجاجي الذي يؤدي إلى الحديقة رأت خلف سياج من الشجيرات المشذبة جيدا مياه حمام السباحة الزرقاء، وبعده ملعبا للتنس. إن أملاك "أوين" تشبه تماما ناديا من نوع الكونتري.

أراحت "ناديا" جبينها على زجاج الباب وقالت:

- الموسيقى كانت في رأسي.

- إذن كيف فقدتها؟

زفرت وقالت:

- هذا ما أريد أن أعرفه.

هزت كتفيها: منذ خمسة أيام كل شيء يسير بالعكس. لقد هرب "الخزانة" مرتين من إسطبله، ورفض والدها وعمها "روبا" وظيفتين، وهذا الصباح نفسه أخبرتها أمها أن أخاها "ميكول" لم يرد على ندائها مرتين في يومين متتاليين، وكل ما استطاعت "ناديا" أن تفعله هو ترجمة بعض الأغنيات ذات اللحن الواحد لست لغات. كان عملا شاقا، ولكنها كانت مصممة على الوفاء بعقدها بما فيه الاختيار أن تضيف لغتين إلى الأغاني الأربع المتفق عليها. إن المال أساسا سيسمح لها بشراء جرار من الأوكازيون من أجل الضيعة أو فرسين من أجل "خزانة"، ولم يعد ينقصها سوى أغنية واحدة!

على الشابة أن تعثر حتما على موسيقاها قبل شهر اكتوبر وهو التاريخ الذي يبدأ فيه التسجيل للأغاني.

سألها:

- ولكن لماذا تتهميني بضياع الموسيقى؟

- لأن الموسيقى كانت موجودة قبل أن تقبلني مودعا. أضاءت ابتسامة وجه "أوين":

- أتعنين أن تلك الحركة أطارت كل الموسيقى من ذهنك؟

- لاداعي لأن تفرح. كل ما قلته أن الموسيقى كانت موجودة قبل ذلك.

قال "أوين" وهو يحاول إخفاء سروره:

- هذه أول مرة يتهمني أحد بمثل هذه الجريمة.

- إن الأمر يا "أوين" لا يتعلق بنوتات موسيقاي فحسب، وإنما أيضا بلقمة عيش أسرتي!

طارت فرحة "أوين" واختفت ابتسامته؛ إن المرأة لا تمزح. لقد خانه خياله وشطح به. إنها تتحدث عن ضياع إلهامها، ومهنتها كمغنية عالمية معرضة للخطر والضياع.

www.rewity.com

اقترب منها "أوين" وامسك بيدها:

- سامحيني يا "ناديا".. لم يخطر على بالي أبدا فكرة الإقلال من خطورة الموقف ولكني لا أفهم جيدا كيف يمكن أن تؤدي قبلة وداع إلى محو موهبتك الخلاقة.

- أنا أيضا أكثر حيرة منك! مجرد عشاء بسيط في المدينة.. هذا كل ما هناك، ولقد تساءلت مائة مرة ماذا يمكن أن يكون قد حدث؟

- ربما تعانين دون شك مما يسميه الكتاب "القلق من الصفحة البيضاء".

- لست كاتبة يا "أوين".. أنا موسيقية.. أسمع الموسيقى، حررت يدها من قبضته وخطت خطوات وهي تلوح بذراعيها:

- في الأوقات العادية كنت أسمع الموسيقى التي أريد أن أعزفها في أي حجرة كهذه.

- أتقصدين أن مكتبي.. كان يعزف لك؟

- هل ترى تلك المكتبة وهذه الأرفف من الخشب الأسود؟ إنها تهمس لي.. وأشعة الشمس التي تتسلل إلى الحجرة تشبه أوتار القيثارة ومكتبك وكل ما تبتكره هنا كان يرسل إلي نغمات حادة مسموعة.. إن الحجرة لا تكلمني وإنما تغني لي.

- ولكن كل تلك الأصوات لابد أنها نوع من تنافر الأصوات بداخلك لدرجة جهنمية.

- لا على الإطلاق.. إنه مثلما يحدث في الديكور أن الأرفف والسجاد والستائر.. كل تلك العناصر المختلفة تكون تناغما في مجموعها معا.. إن كل نغمة لها دور في السيمفونية.

تأمل "أوين" مكتبه في دهشة.. إنه لم ينظر أبدا إلى الموسيقى من هذه الزاوية.. سألها:

- وماذا تسمعين الآن؟

ركزت "ناديا" انتباهها ثم أخذت تلوي كفيها وتعتصرهما، ثم أغمضت عينيها لتحبس دموعها وقالت:

- إنني لا أسمع أي شيء آخر عدا صوتك.

تأثر "أوين" من أعماق قلبه وهو يشاهد تعبير اليأس على ملامح "ناديا".. إنه يصل إليه.. قام من مكانه وذهب إليها، ثم أمسك بكفيها في حنان:

- لا تقلقي! سنعثر على موسيقاك.. هل أنت متأكدة من أن تلك القبلة هي السبب؟

- متأكدة؟.. لا في الحقيقة، ولكن هذا كل ما وجدته من أسباب، ولكن لماذا تسأل؟

ظهرت ابتسامة عند ركن شفتيه وقال:

- وإذا ما قبلتك مرة ثانية فهل ستعود موسيقاك؟

أرادت الابتعاد ولكن "أوين" أمسك بيديها بقوة فأجابته في خجل:

- وكيف لي أن أعرف؟

- يمكننا أن نجرب.

قالت الشابة وقد تملكها الخوف:

- نجرب ماذا؟

- قبلة.

نظرت إليه وكأنه فقد عقله.. لم يكتف بأن سرق منها إلهامها، والآن يريد أن يسرق روحها! قالت ببساطة:

- ولكن هذا خطر.

- من يخاطر بلا شيء فلن يخسر شيئا.. أو كما يقول المثل العامي: "ضربوا الأعور على عينه قال هي خسرانة خسرانة".. ويمكنني أن

www.rewity.com

أجرب ذلك الأمر عدة مرات لو اقتضت الحاجة ذلك. أنا تحت أمرك ومستعد أن أضحي بنفسي من أجل الفن إلى أن تسمعي نشيد السعادة مرة أخرى. لم تعرف الشابة إن كانت تسعد بعدم اكتراثه هذا أم تغضب. قالت:

- في رأيي أن هذه فكرة خاطئة ومزيفة. قال "أوين" في إلحاح:

- بالعكس وأعتقد أننا نسير على المنوال السليم. قالت الشابة بعد أن نجحت في نزع يديها ووضعتهما في وسطها:

- أعتقد تمام الاعتقاد أنك فقدت عقلك!

- لا تسيئي فهمي! إنني فقط أريد الدفاع عن نظريتي الافتراضية، وعلى أية حال إذا كنت قد لعبت دورا أيا كان نوعه في اختفاء موسيقاك من ذهنك كما تقولين؛ فإن علي بأي حال من الأحوال أن أساعدك أيضا في العثور عليها.

قالت "ناديا" معلقة:

- إن المنطق لا مكان له في هذه الحكاية. هل سبق أن اتهمتك امرأة بسرقة موسيقاها.

- لا.. في هذا الأمر لابد أن اعترف أنك أول واحدة.

جلس في استرخاء على مقعده ذي المساند الوثيرة، ووضع كفيه خلف رقبته، ثم سألته:

- كم عدد الموسيقيات اللاتي حدث لك معهن ذلك؟

- يبدو لي أنك أنت أول واحدة. لا.. انتظري وأنا في سن الثالثة عشرة قبلت "سوزي" وكانت تعزف على البيانو.

- وهل استطاعت أن تعزف ثانية بعد ذلك؟

- نعم، لسوء الحظ.

وضع "أوين" عقبي حذائه على حافة مكتبه وأخذ يتأمل السقف

وسألها:

- في أي لحظة بالضبط أدركت أنه لم تعد هناك موسيقى تتردد في ذهنك؟

- عندما دخلت البيت وأغلقت ورائي الباب.

- ومتى كانت آخر مرة سمعت فيها تلك الموسيقى؟

- عندما كنت معك فوق الشرفة.

قال "أوين" بلهجة انتصار:

- هذا بالضبط ما قلته!

- ما هو إذن الذي قلته؟

- أنا الحلقة المفقودة.

أدارت وجهها لتخفي الدموع التي غشيت عينيها. على أية حال لم يكن هناك داع لأن تأتي أصلا؛ إن هذه المناقشة لن تؤدي إلى نتيجة وهما لن يتقدما قيد أنملة. نهض مرة واحدة واقترب منها قائلا:

- على أية حال أنا مسؤول. في جزء ما من تلك السلسلة.. ربما كان ما حدث فوق الشرفة خطوة خاطئة، ولكن هذا لا يمنع مع ذلك أنه لابد لذلك تفسير، وأنا أريد أن أساعدك على إيجاد هذا التفسير.

- ولكن كيف هذا؟

- لست أدري شيئا، ويجب أن أفكر معك في المشكلة. وعلى أية حال لابد أن تبدئي بالراحة. إن تلك المشكلة تؤرقك من خمسة أيام، وأنا أفهم تماما قلقك، ولكنك في حاجة إلى الراحة.

- أنا محتاجة بوجه خاص إلى موسيقاي.

- اسمعي نصيحتي. كلما كنت مشدودة، قلت فرصتك في استعادة موسيقاك. هل سبق لك أن ذهبت إلى وادي "هيدن"؟

- لا.. ما هو؟

www.rewity.com مـرمـوريـة

- إنه سر محتفظ به جيدا.. إنه واد هادئ جدا على بعد حوالي خمسة عشر كيلومترا من خارج المدينة والقليل من الناس يعرفون ذلك المكان. إنه ركن صغير حقيقي من الفردوس بنهيراته التي تغني وشلاله وبراريه الجميلة.

- نعم، هذا يبدو غير سيئ.

- صدقيني.. إنه رائع وساعد ما يشبه النزهة الخلوية ثم نرحل.

- دقيقة واحدة من فضلك، انا لم اقل إنني أريد الرحيل إلى هناك؛ إن عندي عملا في المزرعة.

- هل هذا العمل أهم من عثورك على موسيقاك؟ عضت "ناديا" على شفتها السفلى قائلة:

- ومن يضمن انني لو رحلت إلى وادي "هيدن" أن تعود إلي موسيقاي؟

- وهل يمكنك أن تكوني متأكدة من العكس؟

كانت الشابة مقلقة. الم تتمن أن تضع أطول مسافة بينهما؟ إنه خطر ومغر جدا، ولكن الآن والألحان تهرب منها، ألا تفعل كل ما هو في مقدورها لتسترجعها؟ أليس من المحتمل أن تكون في حاجة فعلا إلى نجدته؟ على أية حال، فإن فترة ما بعد الظهر ستكون قادرة على الاحتفاظ بعلاقتهما عند حدود الصداقة البحتة ثم يلزمها فقط أن تجعل الأمور واضحة.

- إذا كنت ساصحبك فإن ذلك سيكون أمرا يتعلق بالشرف.. لن نكون سوى صديقين لا أكثر.

هز "أوين" رأسه وابتسم.. لقد وصلته الرسالة.

- ومع ذلك يبقى سؤال..

- ما هو إذن؟

- هل تحبين سندوتشات الدجاج أو اللحم المقدد؟

* * *

القت "ناديا" نظرة على السيارتين المصفوفتين على جانب الطريق، وقالت وهي تأخذ منه الغطاء:

- لقد كنت أعتقد أن هذا المكان مجهول وغامض. رفع الشاب سلة كبيرة من الخيزران وأغلق حقيبة السيارة وقال لها:

- لا تقلقي.. إننا قد لا نشاهدهم. ربما لن نراهم وهناك عدد لا يحصى من الهكتارات من البراري والغابات.

- لا يوجد منها الآن في عزبتي، ومع ذلك لا أتوقف عن مقابلة أحد الأعمام وجها لوجه أو واحد من أبناء عمي.

بدأ "أوين" الرحلة، ودخل في طريق ضيق بين شجرتي أرز سامقتين، وقبل أن تتبعه "ناديا" راجعت عما إذا كان هناك علامات تحذير أو منع الدخول معلقة على إحدى الأشجار.

سألته الشابة:

- من يملك هذه الأرض؟

- إنها ملكنا.. ولكننا تبرعنا بها للحكومة.

أمسك بفرع وأبعده حتى لا يصفع وجه الشابة، ثم ساعدها على القفز فوق جزع شجرة، ثم أكمل:

- لقد تم شراء هذه الأرض في الستينات من أجل إنشاء حديقة عامة.

عن بعد كانت أشعة الشمس التي أضعفتها الغيوم وقد قللت من العتمة داخل الغابة ثم أكمل:

- لحسن الحظ أن الحكومة لم تجد الأموال الكافية واللازمة لإزالة الأشجار في فدانين من الأرض وتحويلهما إلى ساحة لانتظار

www.rewity.com

السيارات. وبمعنى آخر ظلت الأرض كما أرادتها الطبيعة. وصلا إلى الأرض المكشوفة الخالية من الأشجار. في الحقيقة لم تكن مجرد متسع من الأرض، وإنما فتحة حقيقية تسمح للمرء أن يملي عينيه بنظرة واحدة شاملة كل الوداي والجبال عن بعد.

أطلقت "ناديا" زفرة إعجاب: كان الطريق الذي اختاره "أوين" قد انتهى بهما إلى ركن من الفردوس.

- ما رأيك فيه يا "ناديا"؟ مكان رائع للراحة. أليس كذلك؟

أحست الشابة بندم لم يسبق لها أن أحست به من قبل على فقدانها لملكة الموسيقى أمام هذا المنظر. كان اللحن الممكن أن يوحي به هذا المنظر لها.. فيما لو لم تفقد موسيقاها -سيصبح مذهلا. همهمت:

- إنه معجزة.

أمسك بيدها وضغط عليها وقال:

- أنا سعيد لأنه أعجبك.. ولكن تعالي...

سحبها من يدها عبر الأعشاب المرتفعة قائلا:

- إن أرض الأحلام الصالحة للنزهة على الطرف الآخر من الوادي.

صاحت "ناديا" وهي تستلقي فوق المفرش:

* * *

- أوه لا.. لا.. لقد أكلت الكثير! لقد سببت لنا التخمة. لقد تبقى في هذه السلة ما يكفي لإطعام جيش لدرجة الشبع.

وضع بقية الطعام داخل السلة وركنها بعيدا. بدت "ناديا" في حالة استرخاء تام وقد رفعت وجهها نحو السماء الزرقاء المرصعة بالنجوم. كان "أوين" سعيدا بفكرة النزهة الخلوية؛ لأن ذلك أتاح له فرصة قضاء وقت مع "ناديا". والتي بدا أنها استطاعت أن تسكت هواجسها، ربما كان عليه أن يتمنى ألا يعود إليها إلهامها الموسيقي أبدا؛ لأنه لو حدث

فإنه يخشى أن تعود الشابة إلى وضع مسافات في العلاقة بينهما بدعوى أن كلا منهما لم يخلق للآخر.

من المؤكد أن "ناديا" ليست نمط المرأة التي توافق تطلعات العمة "فيرنا". ولكن في اللحظة الراهنة فإنها ليست أهم ما يشغله. إنه في الثالثة والثلاثين من عمره، وهو يعرف الفرصة الجميلة إذا مرت بين يديه، ويوجد بينه وبين "ناديا" انجذاب من القوة بحيث لا يمكن إنكاره. لقد كانت الشابة ذكية، وحلوة، وجذابة بدرجة لا تصدق، وكان "أوين" يعتبر من حقه شرعا أن يدفع العلاقة إلى أقصى درجة. إنه كما تقول العمة "فيرنا" لا يزداد شبابا كلما تقدم في السن، وإذا كان يريد إنجاب الأبناء الستة الذين يحلم بإنجابهم فعليه أن يفكر في الزواج. تقلبت "ناديا" على جانبها وأرخت رأسها على ذراعها المثنية: كانت عيناها شبه مغمضتين وابتسامة مرهقة تائهة على وجهها. بدت وكأنها تفحص "أوين". سألها:

- فيم تفكرين؟

- فيك..

وضعت يدها أمام فمها لتكتم تثاؤبها، وأخذت الشمس تزيل ببطء توترها العصبي الذي تجمع في جسدها منذ عدة أيام. سادها شعور بأنها تذوب. نظر إليها متسائلا:

- ثم ماذا؟

أغمضت الشابة عينيها وقالت ردا على سؤاله:

- إنني أتساءل لماذا لم تستطع امرأة أن تقتنصك حتى الآن؟

- تقتنصني؟

- أنت تعرف بالضبط ما أقصده. خاتم في الإصبع وطفلين وكلب وبعض فواتير طبيب الأسنان..

www.rewity.com مرورية

- وهل تظنين انني صيد ثمين؟

همهمت "ناديا":

- لماذا لم تتزوج بعد يا "أوين"؟

أخذ يلهو ببعض العشب ورد قائلا:

- أعتقد انني لم ألتق بعد بالمرأة المثالية.. قطب "أوين" ما بين حاجبيه. لم تعد "ناديا" تستمع إليه؛ لقد طرقت الموضوع الذي يعتبر مثار الأحاديث في كل بلدة "كاو هيد"، ثم شاهي تستغرق في النعاس! ألا تحس هذه الشابة انها بالنسبة له تشكل أجمل جزء في المنطقة؟

كان عليها على الأقل أن تظهر ولو قليلا من الفضول!

مد يده وأبعد خصلة متمردة من الشعر عن وجهها.. كانت تبدو ملاكا.. إنه منظر سماوي! دائما تتارجح ابتسامة على شفتيها. تمدد على المفرش بالقرب منها، وتساءل: عم يمكن أن تحلم به؟

الفصل الخامس

ارتجف أنف "ناديا" الصغير ومررت يدها على وجهها.. شيء ما ربما حشرة أو ناموسة أزعجت نومها؛ نفخت الهواء من فمها لتطردها، ثم فتحت عينيها على آخر اتساعهما عندما سمعت ضحكا يرن في أذنها، ثم التقت عيناها بعيني "أوين" السمراوين.

كتمت تثاؤبها، ونظرت فيما حولها: كانت الشمس على وشك الاختفاء وراء الأشجار قالت:

- أوه.. يا إلهي! لماذا لم توقظني؟

جلست واستدارت ناحية "أوين" الذي ظل ممددا على المفرش كرجل لا يشغل باله أي شيء بالمرة. قال:

- أتعرفين أنك تتكلمين أثناء نومك؟

صاحت:

- بالتأكيد لا

www.rewity.com مـرمـوريـة

- وهل تظنين ابنتي صيد ثمين؟

همهمت "ناديا":

- لماذا لم تتزوج بعد يا "أوين"؟

أخذ يلهو ببعض العشب ورد قائلا:

- أعتقد أنني لم ألتق بعد بالمرأة المثالية.. قطب "أوين" ما بين حاجبيه. لم تعد "ناديا" تستمع إليه؛ لقد طرقت الموضوع الذي يعتبر مثار الأحاديث في كل بلدة "كاو هيد"، ثم ها هي تستغرق في النعاس؛ ألا تحس هذه الشابة أنها بالنسبة له تشكل أجمل جزء في المنطقة؟

كان عليها على الأقل أن تظهر ولو قليلا من الفضول!

مد يده وأبعد خصلة متمردة من الشعر عن وجهها.. كانت تبدو ملاكا.. إنه منظر سماوي؛ دائما تتارجح ابتسامة على شفتيها. تمدد على المفرش بالقرب منها، وتساءل:عم يمكن أن تحلم به؟

الفصل الخامس

ارتجف أنف "ناديا" الصغير ومررت يدها على وجهها.. شيء ما ربما حشرة أو ناموسة أزعجت نومها؛ نفخت الهواء من فمها لتطردها، ثم فتحت عينيها على آخر اتساعهما عندما سمعت ضحكا يرن في أذنها، ثم التقت عيناها بعيني "أوين" السمراوين.

كتمت تثاؤبها، ونظرت فيما حولها: كانت الشمس على وشك الاختفاء وراء الأشجار قالت:

- أوه.. يا إلهي! لماذا لم توقظني؟

جلست واستدارت ناحية "أوين" الذي ظل ممددا على المفرش كرجل لا يشغل باله أي شيء بالمرة. قال:

- أتعرفين أنك تتكلمين أثناء نومك؟

صاحت:

- بالتأكيد لا.

www.rewity.com مـرمـوريـة

مشطت شعرها ثم تجهمت وهي تشاهد تعبير الانبساط والسرور على ملامح "أوين" وقالت:

- هل تكلمت فعلا اثناء نومي؟

- نعم.

كان يمضغ فرع العشب الذي كان يداعب به اذنها.

- وما الذي قلته؟

اتخذ وجهه مظهر الرجل الذي اكتشف سرا ثم اعترف أخيرا:

- إنني لم أفهم شيئا.

- هل كنت أهمهم؟

حاولت دون جدوى أن تتذكر ما كانت تحلم به.

- لا.. لقد كنت تتكلمين ولكن بلغة لا أعرفها.

- بالروسية؟

هز رأسه نفيا.

- بالألمانية؟

- لا.. أيضا.

- بولندية؟.. تشيكية؟ سلافية؟

اتسعت عينا "أوين" وسألها:

- كم عدد اللغات التي تتحدثين بها؟

- بطلاقة؟ ثمانية بما فيها الإنجليزية.

أطلق "أوين" صفير إعجاب مبهوتا. متعجبا:

- في أي جامعة تخرجت؟

كان من ناحيته قد تعلم الإنجليزية في المدرسة طوال أربع سنوات، وسرعان ما نسيها بعد ذلك. في الحقيقة لم تكن "كاوهيد" مدينة دولية قالت له:

- لم أضع قدمي أبدا في الجامعة.

- إذن أين تعلمت كل هذه اللغات؟

- عندما نسكن في "روسيا" فمن الطبيعي أن نتعلم الروسية.

- هل عشت هناك؟

- وفي "بولندا" و"تشيكو سلوفاكيا" و"المجر" و "النمسا" و"يوغوسلافيا" و"بلغاريا" من بين بلاد أخرى.

- هل هذا يعني أن هناك بلادا أخرى؟

أجابته وهي تهز كتفيها:

- لقد أحبت أسرتي الترحال دائما، وعندما يسألني شخص ما أين كبرت؟ أجيب في "أوروبا". هذه الإجابة أسهل من ذكر كل البلاد.

- ولكن لابد أن يكون لك بيت.. دار تنتمين إليها وترتبطين بها..

- إن نقطة ارتباطنا الوحيدة هي العربة المتنقلة. إنها تتبعنا إلى حيث نذهب. نحن غجر رحل يا "أوين" ولسنا بالضبط أسرة أمريكية تقليدية مستقرة.

- إذن لماذا تركتم "أوروبا" للحضور إلى هنا؟

- الأمان. لقد فاض بي الكيل، واكتفيت من الحروب والصراعات العرقية والثورات القومية أينما نذهب نجد نفس القصة. شعوب لاهم لها سوى قلب نظام حكمها، والإطاحة بالحكومة. أو يتصارعون فيما بينهم بشأن الدين.. شعوب يبدو أن الانقسامات ترادف معنى الديمقراطية، وقد أصبح ذلك الأمر خطرا على أسرتي. أينما ذهبنا كانوا يسألوننا: إلى أي معسكر نحن ننتمي إليه في حين أننا كنا لا نبغي سوى السلام.

جلس "أوين" بدوره وقد أحس برغبة أن يقترب من "ناديا" ليحميها. ارتجف وهو يفكر في المآسي والرعب الذي شهدته. قال لها:

WWW.REWITY.COM مـــر مـــوريـــة

- أنت في أمان هنا.

أغمضت عينيها.. إن ذكريات ثلاثة وعشرين عاما قضتها في "أوروبا" حاضرة في ذهنها بالكامل، ثم تطلب الأمر منها الكفاح خمس سنوات أخرى لتحضر عائلتها إلى "أمريكا".. كانت كل الأسرة قد أصرت على أن تقوم بهذه القفزة معا. لقد عاشت خلال تلك السنوات الخمس في القلق والهواجس، وهي لا تعلم دائما في أي بلد كانوا يعيشون، وكانت تجري مكالمة تليفونية.. هنا، وأخرى هناك، وتتابع أخبارا وتقارير غير مطمئنة تذاع في التليفزيون عما يجري من قلاقل وأحداث في البلاد التي كانوا يتواجدون فيها..

كانت بلاد "أوروبا الشرقية" بالنسبة للولايات المتحدة تبدو غالبا مثل قنبلة على وشك أن تنفجر في أي لحظة. سألها:

- ولماذا اخترتم الولايات المتحدة الأمريكية بدلا من "كندا" أو حتى "اسكتلندا"؟

- عندما كنت في الثامنة من عمري ذهبت إلى مدرسة في "ألمانيا الغربية" لمدة ستة أشهر، وكانت المدرسة أمريكية متزوجة من ضابط يعمل في قاعدة عسكرية. كانت تقص علينا حكايات رائعة عن بلدها الأم، وعن مدينتها التي ولدت بها وترعرعت في ولاية "أوهايو". لقد أحسست أنها تحس بالحنين الحقيقي للوطن، وأعتقد أنه بسببها وقع اختياري على الولايات المتحدة الأمريكية.

رفع ذقنها بأصبعه ثم قال:

- لحسن الحظ أنها لم تكن "إنجليزية" أو "فرنسية" وإلا لما كنت ساقابلك أبدا.

- ولكن ساعتها كانت الرحلة أقل تكلفة.. ولكن دعنا نكتفي من الحديث عني..

نهضت وهي مصممة على كسر حدة هذا الموقف الحميم، والاعترافات بالأسرار الخاصة وسألته:

- لقد حدثتني عن مسقط مياه.. أين هو؟

وصلا بسرعة إلى بطن الوادي، ثم عبرا جسرا خشبيا، ولكنها لم تشاهد أي مسقط للمياه.

- يمكننا أن نمر عليه لو صعدنا ناحية السيارة إذا ما رغبت، ولكن لابد أن ندور حول التل هناك. أشار بإصبعه ناحية الشرق.

قالت له الشابة وهي ترتدي حذاء تنس:

- وماذا تنتظر إذن؟ إن قليلا من المشي سيفيدني.

بعد ساعة من المشي أوشكت "ناديا" أن ترجع في رأيها. إما أن هذا التل في الحقيقة جبل، أو أن الشابة لم تعد في لياقتها البدنية العادية، ولكن "ناديا" كانت ستقطع لسانها ولا تساله:

هل لايزال المكان بعيدا!

نظر "أوين" خلفه وهز رأسه في إعجاب.

تساءل: إما أن "ناديا" هي أكثر امرأة عنيدة قابلها في حياته، أو أن لها قلب وعل بري ينبض داخل صدرها. لقد عبر ذلك الطريق الجبلي عدة مرات ولكنه في كل مرة كان يجده مرهقا ويعتبر عبوره محنة. قال أخيرا:

- لقد أوشكنا على الوصول.

أبعدت خصلة شعر التصقت بجبينها الذي يبلله العرق، ووجدت لديها القوة على الابتسام... والاستمرار في السير. إنها تعرف أنها لو وقفت عن السير الآن فإن كل عضلاتها ستتقلص.

كان "أوين" يبدل السلة من يد إلى أخرى، ويستأنف السير في كل مرة يتم فيها عملية التبديل، وهو يقفز على جذور الأشجار الساقطة.

أو يدور حول مجموعات الشجيرات المتشابكة. سرعان ما وقف وأصاخ السمع في انتباه سألها:

- هل تسمعين؟

- وماذا أسمع؟

إنها لا تسمع سوى دقات قلبها الذي لا تستطيع السيطرة عليها وصيحات الألم التي تنبعث من كل أجزاء جسدها.

صاح:

- خرير مياه التي تسقط!

في الحقيقة إن الشابة في حالتها تلك لم تكن بقادرة على سماع حتى شلالات "نياجرا"!

أمسك "أوين" بيدها وسارعا الخطوات وانحنيا بشدة ليتجنبا الأغصان المنخفضة ويرفعا ركبهما عاليا حتى لا يتعثرا في جذور الأشجار.

صاحت "ناديا" فجأة:

- انتظر!

- ماذا؟

- إنني أسمعه.. ها هو ذا!

كانت أصوات تساقط مياه الشلال واضحة تماما مما أعطاها القوة.. لقد نجحا أخيرا..

أبعدا آخر ستارة من أوراق شجر السرو، واكتشفا في انبهار المنظر الممتد أمام عيونهما: كان الماء يتساقط في زمجرة قوية متواصلة من ارتفاع حوالي خمسة عشر مترا إلى حوض مياه يلمع سطحه، وحوله مالت الأشجار وتشابكت أغصانها فوق صخور ضخمة، وفي أحد جوانب الحوض بالقرب من مسقط المياه كانت المياه تغلي، وفي

الجانب المقابل كان سطح الماء ناعما كالمرآة. سألته:

- هل الحوض عميق؟

كانت "ناديا" واقفة على حافة المياه.

- حوالي متر حيث تقفين وربما تجدين بعض الأسماك فيه.

كانت هذه أول مرة يصحب فيها "أوين" امرأة إلى هذا المكان. كان يتوقع أن تنبهر وتتأثر بجمال المنظر في هذا الموقع وليس أن تسأله أسئلة حول الجيولوجيا! أخذت "ناديا" تبحث في جيوبها، ثم أخرجت باكو من العلك وسألته:

- هل يمكن أن تمسك بهذا الباكو لحظات؟

قطب "أوين" وجهه وهو يتأمل العلك في راحة يده ثم سألها:

- لماذا؟

في لحظة وجد "ناديا" تغطس برأسها في الماء ولا يظهر من جسمها سوى فردتي حذاء التنس البيضاوين على حافة الحوض..

وضع "أوين" سلته الشهيرة. إن "ناديا" غطست في الماء، ولكن هل تعرف السباحة؟ ثم ماذا لو اصطدم رأسها بقاع الحوض الصلب؟ هم بخلع حذائه عندما طفت الشابة على سطح الماء. كانت ابتسامتها مضيئة مثل نهر من الماس. صاحت ليغطي صوتها على صوت الشلال:

- إنك لم تقل لي: إن الماء مثلج!

- هذا درس لك. لم يكن من الواجب أن تغطسي في الحال.

- ولم لا؟

- لأن هذا ليس من الحرص

- ولم تقل أيضا: إن في القاع صخوراً! آسفة يا "أوين" ولكني لم أستطع الانتظار.. لقد مرت سنوات لم أستطع خلالها أن أغطس واعوم وسط الطبيعة العذراء.

www.rewity.com

أدارت وجهها نحو الشمس بينما نزلت المياه من ظهرها. قالت له:

- ربما استطعت أن أحضر حوضا وسط النهر الذي يعبر الضيعة

- أليس من الأسهل أن تشتري حوض سباحة؟

- إنني أكره الاستحمام وسط المواد الكيماوية التي توضع في مياه حمامات السباحة. إن الكلور يجفف بشرتي ويحرق عيني.

- هل تفضلين السباحة مع الأسماك؟

لاشك أن "ناديا" كانت تختلف عن كل النساء اللاتي عرفهن.. ردت عليه:

- بالتأكيد أحب ذلك.

اختفت مرة ثانية، ثم عادت بعد لحظات وهي تفحص حجرا ملونا أحضرته معها.. كان حجرا جميلا لونه أخضر به خطوط سوداء. جاءت إلى حافة الحوض الطبيعي وناولت الحجر إلى "أوين":

- يمكنك أن تضعه مع العلك الذي أعطيته لك.

- هل تعتبرينه تذكارا؟

- لا.. إن أحد أبناء عمومتي يجمعها.. ألن تسبح؟

- أخشى أن يكون بنطلوني الجينز ليس عمليا.

هزت "ناديا" كتفيها وابتعدت إلى وسط الحوض بعد أن قالت له:

- ما عليك إلا أن تخلعه!

تساءل: لماذا تكون هي - فقط - التي تستفيد بهذا الحمام المنعش؟ ثم إن بينهما عشرة أمتار من الماء المثلج! وهو يرتدي ثيابه الداخلية. ظل "أوين" لا يستقر على رأي وهو يتساءل:

هل "ناديا" جادة في كلامها؟

سألها:

- ألا يضايقك حقا أن أخلع البنطلون؟

لم تجبه "ناديا" في الحال. إنه رجل مهذب من الجنوب ومتمسك بالأخلاق. ردت عليه أخيرا:

- أتدري! لقد سبحت مع جميع الألوان من رجال أسرتي.

تجهم وجه "أوين" فقالت له وهي تضحك:

- إن لي أربعة إخوة.

- إذن هذا لن يهمك.. أليس كذلك؟

بدا لايزال مترددا. من الأفضل ألا يغامر ثم قد تأتي سلحفاة فتقضم أحد أصابع قدميه.

- لا تهتمي بأمري.. ثم إن الأسماك قد لا تكون متسامحة معي مثلما تفعل معك. عندما تكون جائعة؛ فإنها ستبتلع كل ما يتحرك أمامها.

بدا وكأن "ناديا" قرأت أفكاره سألها:

- هل هناك ساحرات شريرات في "روسيا"؟

- ساحرات شريرات؟ إذا كنت تصدق الخرافات الشعبية فنعم هناك الكثيرات منهن..

خلع "أوين" قميصه وألقى به بجوار حذائه. كانت كتفاه عريضتين، وصدره مغطى بخصلات شعر مجعد، ووسطه رفيع، وجسده باختصار جسم بطل رياضي. أشاحت "ناديا" بعينيها عندما خلع حزام البنطلون. قالت له:

- في "أوروبا" كلمة ساحرة لها معنى سيئ. وليس كما تفهمونها في "أمريكا" على أنها فاتنة.

تذكرت أكثر من مرة أن أسرتها طوردت من الفرويين في غضب وهم يعتبرونهم من السحرة الأشرار أو سارقي الدجاج أحيانا. بالإضافة إلى الإهانات وكانوا يمطرونهم بالحجارة.

- في الولايات المتحدة لدينا بوجه خاص ساحرات فاتنات

www.rewity.com مـــرمـــور

محبوبات.

خلع بنطلونه وجوربه واستمر يقول:

- أيا كان الحال.. لقد قرأت أفكاري.

- هناك العديد من الناس اتهموا عمتي "ساشا" بهذه القوة: قوة السحر، في حين أنها تكتفي بقراءة العينين وتفسير لغة الحركات.

عندما نظرت إليه رأته يرتدي كلسونا يشبه المايوه مخططا باللونين الأبيض والأزرق.

قال:

- ربما لا تستطيعين قراءة الأفكار، ولكن على أية حال نحن نذيع على موجة لاسلكية واحدة. هذا كل ما في الأمر.

دخل الماء في غطسة ممتازة، ثم عاد إلى الظهور أمام الشابة مباشرة.

قال لها:

- وهذا لا يمنع أنك دائما ساحرة.

- ولماذا هذا؟

إنها لاتزال لا تحب الكلمة رغم أنها صادرة عن رجل أمريكي، ومعنى الكلمة عنده يرادف شديدة الجاذبية والفتنة. مد يده ليداعب شعرها قائلا:

- لأنك عملت لي عملا سحريا..

غطسا في لحظة واحدة ليظهرا بعد دقيقة كاملة وهما يلمعان من المياه المتساقطة وقد تقطعت أنفاسهما.

قالت له "ناديا":

- أنت رجل خطر، ومن الممكن أن نغرق.

- ولكنك فاتنة.. ساحرة فاتنة!

فجأة ارتفعت درجة الحرارة، ولكن "أوين" قرر ألا يطيل من مغامرته في الماء. إن المكان والزمان لا يصلحان لأية مغامرات. لقد حددت "ناديا" بوضوح شديد أنها نزهة خلوية بسيطة وبريئة بين صديقين. على أية حال قد يفاجئهما أحد المتنزهين فيسيء فهم الموقف. ورغم ميله الشديد إلى المغامرة إلا أنه كان على قناعة بأنه نالهما من الإرهاق الكثير حتى وصلا إلى الشلال بحيث لم يعد هناك جهد، خاصة وأن أمامهما طريقا طويلا للعودة قال لها وهو يشير إلى كتلة صخرية تحت الشلال:

- من يصل أولا إلى تلك الصخرة يحمل السلة حتى السيارة صاحت "ناديا".

- استعد! انطلق!

كانت قد انطلقت كالصاروخ وتقدمت "أوين" بطولين وحاول أن يلحق بها.. دون جدوى.

رفضت "ناديا" الذهاب للمطعم لتناول العشاء بسبب الشورت والـ"تي-شيرت" المجعدين.

واكتفيا بالوقوف أمام مطعم وجبات سريعة على الطريق وجلسا على مائدة بالداخل. أكلا في المطعم ستيك مقليا وهما يتبادلان ذكريات الطفولة.

أخذ الليل يهبط شيئا فشيئا مما زاد من خصوصية جلستهما وجها لوجه وازدادت صداقتهما متانة. لقد قضت "ناديا" نهارا رائعا ولم تعد تشعر بالرغبة في العودة إلى البيت، ولكن الواجب يناديها.

صف "أوين" سيارته تحت النوافذ الخاصة ببيت "ناديا"، ولاتزال هناك لمبة سهاري مضاءة في الشرفة الأمامية، ولكن البيت كان خاليا. ثم منذ متى بدأت الشابة تقلق قال لها "أوين":

WWW.REWITY.COM

- لابد انهم جميعا في المخيم.. لماذا انت بمفردك.تقطنين هنا؟

- الآخرون يفضلون العزبة الرحالة.

صعدا إلى الشرفة الأمامية فسألها:

- وماذا عنك أنت؟

- إن الحياة البسيطة لا تخيفني، ولكني لست ضد بيت به حمام ممتاز ومياه جارية وكهرباء. ثم لماذا لا أستفيد بالراحة المتواضعة التي يوفرها هذا البيت؟

- لاداعي لأن تلوميني على ذلك. ببساطة لقد لاحظت انك تعيشين منفصلة عن اسرتك. قالت وهي تلقي نظرة على المخيم:

- إن والدي لا يبعدان أبدا أكثر من ثلاثمائة متر من هنا.

- إذن لماذا لست معهما؟

- لانني افضل ان اعيش بمفردي.

- هل انت سعيدة؟

عقدت ذراعيها على صدرها وقد احست فجاة بالتوتر والضيق من تلك الأسئلة المتلاحقة.

- إلى ماذا تهدف؟

- للا شيء يا "ناديا".. ولكن احيانا اقرأ حزنا عميقا في عينيك.

- انت مخطئ.. إن عندي كل ما استطيع ان اتمناه: إن اسرتي على قرب مني وفي امان، وامتلك ضيعة اتمنى ان تصبح احسن مزرعة لتربية الخيول في البلاد. الشيء الوحيد الذي ينقصني هو موسيقاي.

- انت لم تجيبي قط عن سؤالي يا "ناديا"..

هل انت سعيدة؟

- ولماذا لا أكون سعيدة؟

ركز "اوين" عينيه على الشابة ومال نحوها هامسا:

- خبريني ما الذي يمكن ان يجعلك سعيدة؟ إن كليهما يعرف الآن معنى ذلك السؤال. تلت "ناديا" في نفسها صلاة صامتة. إنها في حاجة إلى الطاقة والقوة والشجاعة لتقاوم رغبتها في أن تدعوه إلى الصعود إلى الدور العلوي. يجب عليها أن تقف عند بداية الدرج الذي يجعل حياتها مستقرة ويقلب حياتها راسا على عقب لو عبره. إن صعود الدرج خطر داهم على الأقل في اللحظة الراهنة.

اغلقت "ناديا" الباب الذي فتحه "اوين" لإطالة الحديث بينهما بأن ردت بكل حزم:

- إن ما ينقصني هو إلهامي الموسيقي.

www.rewity.com مـــرمـــوريـــة

الفصل السادس

توارى "أوين" في ظلام مخزن الغلال والعلف وأخذ يراقب "ناديا" في انبهار. لقد كان رأيه مضبوطا:

إن موسيقاها بها شيء سحري. أخذ صوتها يرتفع في حلاوة بينما أصابعها تجري على أوتار الجيتار. كان يجهل اللغة التي تغني بها وكذلك موضوع الأغنية، ولكنه كان واقعا تحت سحر الموسيقى، والشابة لا تدري شيئا.. إنها لم تسمعه وهو يدخل.

اعتقد "أوين" في البداية أن الشابة قد استعادت إلهامها، ولكنه سرعان ما اكتشف أنها تكرر نفس اللحن بمختلف اللغات وهي تقرأ النوتة الموضوعة على مسند من الخيزران.

كان الفرس "خزانة" صامتا ويحيط سيدته بنظرة إعجاب. بالطبع لم يكن لـ"أوين" نفس العاطفة. كان وسط رائحة العلف التي توتر الأعصاب. أحس الشاب بالاضطراب من تلك الشابة التي ارتدت شورتا

بسيطا ضيقا وبلوزة حمراء بدون أكمام. لم يستطع أن ينزع عينيه عنها وهو يتابع أدق حركاتها، وابتسم عندما وجدها تتوقف وتعض شفتها لحظات وهي تسجل بعض الألحان على النوتة.

أغمض عينيه حتى يستمتع بالموسيقى أكثر. لا يهمه إن كان لا يفهم الكلام. إن صوتها يكفي أن يسعده.

في مساء الليلة الماضية عندما ادعت أن عودة الوحي إليها هو الوحيد القادر على إسعادها أحس أنها تخفي عنه شيئا. كان ظل سر ما قد غشي رؤيتها. كان يعرف أن الانسجام بينهما متبادل. كل شيء يقول له ذلك. عندما ترتجف بكل جسدها وهما يلتقيان، ولكن "ناديا" اختارت أن تحتمي وراء موسيقاها. كان قد ترك الشابة وهو يشعر بالأسف فوق الشرفة وهو يقسم أن يعيد إليها موسيقاها، ويعدها بأن يجعلها سعيدة ومسرورة، وفي طريق العودة أدرك أن "ناديا" تمثل من الآن فصاعدا بالنسبة له أكثر من مجرد جمال غير عادي وغير مألوف في بنات بلاده. إنه يريد أن يكون هو الذي يحمل إليها السعادة، وأن يكون ذلك الفارس المدرع الذي يأتي ليضع رهن الحب عند قدميها حتى يستطيع أن يقهرها أفضل. ببساطة كان عاشقا لها.

أخذ نفسا عميقا وخرج من الظل. أدارت "ناديا" رأسها في الحال نحو الخيال الذي ظهر ضد الضوء في مدخل المخازن. توقفت أصابعها على أوتار الجيتار وسكت صوتها قالت:

- "أوين"؟

قال بادئا الحديث:

- لقد ذهبت أطرق على باب المنزل ولكني لم أجد أحدا.

- أوه.. إنه إذن أنت.. نعم لقد أتيت إلى هنا؛ لأن الفرس "خزانة" يحب كثيرا الاستماع إلى الأغاني، جمعت نوتات الموسيقى ورصتها

www.rewity.com

بعناية داخل "كلاسير" أزرق. قالت مستأنفة حديثها:

- ثم قلت لنفسي ربما لو غيرت المكان فقد يعود إلي الإلهام

- وماذا حدث إذن؟

زفرت في غيظ وغضب مكتوم:

- لاشيء.. إن ذهني أبيض تماما.

ذهب "أوين" ليجلس بجوارها على أريكة من الخيزران وسألها:

- هل هذه واحدة من أغنيات الألبوم؟

- نعم.. إنني فقط أضيف إليها بعض الرتوش.

- كم عدد الأغنيات التي كتبتها حتى الآن؟

- اثنتان وثلاثون.

- كل هذا! لابد أنها تكفي وزيادة لألبومك!

- لا.. يلزمني واحدة أيضا. إن أسطوانات الأطفال تختلف عن أسطوانات البالغين، وبعض الأغاني تكون بسيطة الكلمات وقصيرة جدا؛ حتى يستطيع الأطفال أن يحفظوها بسهولة ولا يجدوا مشكلة في إعادة غنائها، والبعض الآخر أكثر تعقيدا وهي التي تقص حكاية، ولا تحتاج إلى لحن يجب حفظه أو تذكره، وإنما الآن ينقصني واحدة من هذا النوع.

- كم من الوقت يلزمك حتى تؤلفي أغنية؟

- إنني أعمل في هذا الألبوم منذ أكثر من عامين حتى الآن. لقد كتبت كلمات نصف الأغاني عندما وقعت العقد.

دهش "أوين" وهو يسأل:

- ولا ينقصك سوى أغنية واحدة؟ لابد أن الأمر ليس بهذه الصعوبة بعد أن ألفت اثنتين وثلاثين.

وضعت الشابة الجيتار على الأرض. قال لها:

- أنا واثق من أنك ستتمكنين من تأليفها.

- شكرا على ثقتك ولكن يبدو أنك نسيت الأمر الأساسي.

- إذن أفيديني أفادك الله!

أمسك بفرع قش كان ملتصقا بشعر "ناديا"

- إنه كما لو كنت تبني بيتا بدون أساس، وبمناسبة المباني والإنشاءات.. إنك لا تعمل اليوم؟

- أنا رئيس نفسي.. وقد قررت أن أستفيد من فترة ما بعد الظهر هذه المشمسة.

الحقيقة أنه ترك موقع العمل؛ لأنه كان عاجزا عن التركيز. منذ أن نهض من نومه وهو لا يفكر إلا في "ناديا"، وفي حبه النامي المتضاعف نحو الغجرية الحسناء. كان يحرك القشة فوق ساقها فانتزعتها من بين يده وسألته:

- ما الذي فعلته اليوم لتبدو سعيدا لهذه الدرجة؟

- لا يهم ما فعلته وإنما المهم ما سأفعله الآن. اقترب من وجهها وفي عينيه بريق سألته:

- بمعنى.. ماذا؟

أخذ يتفحص ببطء في أعماق عينيها الواسعتين. لم تحاول "ناديا" أن تشيح بوجهها بعيدا عنه، ولكنها تساءلت: لماذا لم تفعل؟ لقد كررت عليه أكثر من مرة أن كلا منهما لم يخلق للآخر.

وإذا كان لا يأخذ تحذيراتها مأخذ الجد فإنها مشكلته هو على أية حال. ستتصرف الشابة بحيث تحمي قلبها حتى لا يسرقه منها "أوين" ويمزقه إربا. إن الرجال من شاكلته ليسوا من النوع الذي يتزوج نساء من نوعها. لقد أدركت "ناديا" ذلك بطريقة أو أخرى في "نيويورك". إنه أمر لا يمكن إصلاح عواقبه أن تقع في حب شخص من أمثال "أوين"،

www.rewity.com مـــرويـــة

وأن عليها أن تدفع ثمن غلطتها إن أجلا أو عاجلا.

ولكن لماذا لا تستفيد من الأمر الآن؟ إنه يعرض عليها حبه وهي في حالة نفسية تسمح لها بالاستسلام لعواطفها لتنسى ما تعانيه من فقد إلهامها الموسيقي. يجب أن يستسلما لعواطفهما ولا شيء يمكن أن يوقفهما في تلك اللحظات، ولكن فجأة أوشك قلب "أوين" على التوقف؛ سمع صوت شاحنة صغيرة تقف بجوار مخزن الحبوب والعلف أطلق زمجرة غاضبة وقال:

- لا تقولي لي إنني أسمع أصواتا تقترب.. أغمضت الشابة عينيها وأطلقت زفرة:

- إنهم إخوتي وعمي "روبا".

اعتدل "أوين" ونهض من فوق الأريكة الخيزران وقال في رعب:

- هل سيأتون إلى هنا؟

قالت الشابة في هدوء وهي تسوي هندامها وتنزع القش الذي التصق بشعرها:

- أخشى ذلك.

وجدته يتصرف بطريقة تقليدية يحاول فيها أن يتصرف بلباقة، ومن لحظات كان لا يتمالك أعصابه الأمر الذي أثار تعجبها. إنها لم تسمع حتى اقتراب الشاحنة الصغيرة وقالت له:

- لست أدري لماذا أحضروا ذلك الجواد إلى البيت؟

قال "أوين" وهو لايزال يسوي من هندامه:

- أي جواد تقصدين؟

وصل إلى أسماعهما صهيل الفرس: أجاب عليه الجواد "خزانة" في الحال.

قالت "ناديا":

- أنا نفسي كنت أتساءل نفس السؤال!

نهضت من فوق الأريكة والتقطت بعض القش من فوق ثيابها ثم خرجت في تصميم من المخزن. مرر "أوين" يده في شعره قبل أن يتبعها.. كان تعبير الجدية والقسوة على وجه "ناديا" قد أقلقه كثيرا.. أحدهم تجاسر وشد أذنها!

كان بالخارج مخلوق طويل ونحيف قد صفق باب الشاحنة بقوة، ثم صعد إلى جانب صندوق الشاحنة الخلفي، ثم عاد إلى كبينة السيارة، وانطلق بها كالصاروخ. أدركت "ناديا" من السرعة التي قاد بها السائق الشاحنة فوق الأرض غير الممهدة أنه لابد في حالة شديدة من الغضب. وقعت عيناها على الفرس الفاخرة التي كانت تعدو في فضول داخل التحويطة، بدت في صحة جيدة ومدربة تدريبا جيدا، ولابد أنها تساوي ثروة صغيرة. حدجت "ناديا" عمها وأخويها بنظرات ينطلق منها الشرر. كانوا مستندين بأكواعهم على الحاجز في فخر وهم يتأملون الفرس بإعجاب وهم يلكزون بعضهم البعض في ظهورهم وكأنهم راضون عن أعمالهم.

صاح أحدهم:

- إنها جميلة؟ إن اسمها "فيكتوريا روز"! تجهم وجه "ناديا" وازداد قتامة.. لقد ارتكبت عائلتها نفس أعمالها. مرة ثانية. قالت وقد بلغ بها الضيق مبلغه وكان صوتها حازما:

- ماذا تفعل "فيكتوريا روز" في تحويطة "خزانة"؟

قال العم "روبا" وهو يعطي الفرس قطعة سكر:

- إنها في بيتها الآن.

- وكيف وصلت إلى هنا؟

- إنه بائع الخردوات "وايت مارشال" الذي أحضرها إلى هنا من

www.rewity.com

لحظات.

قالت الشابة بنفاد صبر:

- ليس هذا ما اقصده.. اريد أن أعرف من اين اتت؟

تدخل اخوها "ستيفو":

- الأمر سهل للغاية.. لقد ربحتها.

- ماذا؟ كيف؟

- ثلاث أوراق ملكات ضد ثلاثة ملوك.

قالت "ناديا" بصوت مخنوق:

- هل كسبتها في لعبة الورق.

سارع "ستيفو" بالقول بمنتهى الوضوح:

- بكل طريقة أمينة، وكان "وايت مارشال" هو الذي يقوم بتوزيع الورق.

- إنك ستعيدها في الحال إلى مالكها.

- لا يمكن.. إنها ملكي، ولدي الأوراق التي تثبت ذلك.

ضرب بكفه على جيب بنطلونه. واصلت استجوابه:

- ثم خبرني أولا كيف حصلت على النقود لتلعب الورق؟

نكس "ستيفو" رأسه. نظرت "ناديا" إلى الشاحنة الصغيرة القديمة والخالية الخاصة بـ"روبا" وسألته:

- أين إذن الغداء الذي طلبت منك شراءه هذا الصباح؟

رد "ستيفو" بطريقة تثير الشفقة:

- لقد كنت في حاجة إلى بداية الرهان وقلت في نفسي إنك ستساعديني في هذه الخبطة.

- أنت مخطئ! وأنتما الاثنان ماذا كنتما تفعلان، بينما يغامر بفقد نقودي في لعب الورق. لم ينبس أي من الرجلين بكلمة.

قال "ستيفو":

- لا تحنقي عليهما.. انا الذي خطرت علي الفكرة. تنحنح "روبا" محاولا تسليك حلقه:

- لقد مددنا له يد المعونة.

- ماذا تريد أن تقول؟ هل ساعدته في الغش في اللعب؟

- لا.. لقد ظللنا في ركن من محل الخردوات.

- وماذا كنتما تفعلان في ذلك الركن.

لم يستطع "ستيفو" أن يكتم ابتسامته:

- لقد وقفا ثلاثة أرباع الساعة أمام جهاز إعداد المشروبات وكانهما لم يريا مثله من قبل. لم يستطع "أوين" أن يمنع نفسه من أن ينفجر ضاحكا مما جعل "ناديا" تنظر إليه شزراً قائلة:

- الآن لا أفهم.. لدينا جوادان وليس لدينا ما نطعمهما به؟

- لا.. ليس بالضبط.. لقد توقفنا عند بائع العلف كما طلبت منا.

- وأين هي الجوالات؟

- إنها ستسلم لنا بعد الظهر.

- إنه يدهشني جدا أن يأتوا إلى هنا ليسلمونا بعض الجوالات البائسة.

- لقد طلبت أيضا علفا لـ"فيكتوريا روز" إنني أنوي العناية بها أيضا.

- إذن اتعشم أن تكون ربحت ما يكفي لغذائها أيضا؛ لأنه لم يبق عندي إلا ما يكفي لثمن جوالين.

- لقد ربحت ما هو أفضل من العلف يا أختاه

- ما هو إذن؟

www.rewity.com

قال وهو يبتسم ويخرج رزمة من النقود من جيبه:

- ثروة.

ناول النقود لأخته واستطرد:

- لقد دفعت ثمن الجوالات والباقي سيذهب في إعداد السور. على اية حال لقد قلت لي: إن هذه المزرعة تخصني ايضا. أريد أن أؤدي نصيبي من العمل.

اخذت اصابع "ناديا" ترتجف وقالت:

- أعرف انك تريد أن تفعل كل ما باستطاعتك لمساعدتي يا "ستيفو"، ولكن يجب ان تفعل ذلك بشرف وامانة. إنك لن تستطيع أن تدفع كل شيء عن طريق لعب "البوكر" (الورق).

- انا ربحت دون أن اغش. لقد اعتقد "وايت مارشال" انه يستطيع أن يستغفل شابا غرا يحيط به اثنان من البلهاء. لقد عرض علي أن أكون الرجل الخامس في دور بوكر يلعبونه في مؤخرة حانوته. وحتى يستطيع أن يخدعني تركني أربح الدورين الأولين.

استشفت "ناديا" رأي "أوين" الذي كان يتفحص "ستيفو" بإمعان والذي بدا في الحقيقة كصبي بلا تجارب، ومن ناحية أخرى كان "وايت مارشال" مشهورا باصطياد الضحايا المساكين السذج. حسنا إذن أن يقع مرة في الفخ الذي نصبه. لقد فقد تاجر الخردوات في الحكاية فرساً كانت موضع فخره الدائم.. لابد أن "ستيفو" "لاعب محظوظ".. او ماهر.. قال "أوين" مؤكدا:

- أعرف أن "وايت" ينظم أدوار لعب (بوكر) الورق في مؤخر حانوته.

سألته:

- ولكن هل الربح هنا قانوني؟

- مؤكد إنه قانوني. إن "وايت" وعصابته كانوا سيطيحون باخيك دون رحمة.

قالت "ناديا" تذكرهم:

- إنها كانت نقودي.. وماذا عن الجواد؟

- إذا كانت أوراق "ستيفو" سليمة وقانونية وموقعة بالطريقة الرسمية فإنني لا أرى أي مشكلة، وفي هذه الحالة "فيكتوريا روز" في بيتها.

ضرب كل من "روبا" و"ستيفو" و"جيبي" على ظهر "أوين" في ود ودخلوا المخزن ليعدوا المقصورة المجاورة لـ"خزانة" من أجل "روز". كانت "ناديا" لا تزال قابضة على رزمة أوراق البنكنوت وكانت نظرة واحدة كافية لمعرفة انها مبالغ طائلة. سألت:

- إذن ماذا يجب علي أن أفعل؟

- ضعي قائمة بما نحتاجه لإقامةالسور. أخذ "أوين" يتامل الحيوان الفاخر الذي يذرع التحويطة ذهابا وإيابا. لابد أن "وايت مارشال" يتميز الآن من الغيظ. إنها فرسه المفضلة! وابتداء من الربيع ستكون مستعدة لأول ولادة لها ومن الواضح أن الزوج السعيد لها سيكون دون شك "خزانة"!

سالته "ناديا":

- فيم تفكر؟

- إن "وايت مارشال" معروف عنه انه ليس خاسرا طيبا رياضيا وإنما شرير.

- هل يمكن أن يسبب لي متاعب؟

- إنه لا يستطيع أن يفعل شيئا من الناحية القانونية.

- إذن ما الذي نخشاه منه؟

- عدا سرقة "فيكتوريا" فإنني لا أستطيع أن أخمن ما يمكن أن يفعله، ولكن مادام "ستيفو" لديه الأوراق فإن ذلك لن يفيده في شيء.. إن القانون في صفك.

ومع ذلك أحست "ناديا" بانه قلق سالته:

- في رأيك ماذا يمكن أن يفعله؟

- ربما يسبب متاعب في المدينة بالنسبة لك ولعائلتك.

- أي نوع من المتاعب؟

- مثلا يمكن أن يشيع عنكم إشاعات سيئة ومزيفة، وأن ينسب إلى عائلتك كل ما يحدث من متاعب في "كاوهيد" وسيحاول أيضا أن يثير منازعات أو يعمل على ألا يستخدم أجد والدك وإخوتك في أي عمل.

انفجرت "ناديا" في الضحك وقالت:

- هل هذا كل ما هناك؟

- الا يكفيك كل هذا؟

- لا تنس يا "أوين" أننا غجر.. إن ما وصفته هو عملنا اليومي منذ قرون. لقد كانوا يستخدموننا دائما كبش الفداء، وإذا وقعت سرقة ياتون فورا لتفتيش عرباتنا. وإذا اختفى شخص ما فإنهم يتهمونا باننا اختطفناه، أو لو سقط كلب مريضا فإنهم يدعون أننا سحرناه.

- يا إلهي! إنه عار! إنه لشيء مخجل حقا!

- إنها الحياة يا "أوين".. هل كنت تتصور من قبل أنك يمكن أن تقع

في حب امراة منبوذة من المجتمع التقليدي!

ابتسمت الشابة ابتسامة انتزعت من ذهنه كل غضب مما قالت وما يحمله قولها من تحد.

- إنها منبوذة تعرف الحب كالملائكة.

- لم يكن قصدي أن أبدو ملائكية كما تعلم.

- لا؟.. على كل أنا أعرف بالفعل الموسيقية الموهوبة، والفارسة المغوارة والابنة والأخت والخالة المثالية.. من هي إذن تلك التي صارحتها بحبي من وقت قريب؟

- إنها امراة مثل كل النساء يا "أوين".

www.rewity.com
مـــرويـــة

الفصل السابع

تطلعت "ناديا" خلال الأبواب الزجاجية التي على شكل نوافذ في حجرة مكتب "أوين". كانت الفوضى التامة تسود النجيل.. كل الفتيات من عشيرة "كندرا تافيتش" ممن تجاوزن السابعة من عمرهن ارتدين الملابس التقليدية وهن يرحن ويجئن في باليه راقص لا ينقطع. وكان من الواضح أنهن في أقصى درجة فاعليتهن. أقيمت ثلاث خيام وبوفيه ضخم من ناحية ملعب التنس وعشرات الموائد الصغيرة تعلو كلا منها شمسية شاطئ تناثرت هنا وهناك. كان المجموع يبدو وكأنه كرنفال أكثر منه حفل استقبال في الحديقة! تساءلت "ناديا": كيف واتتها الشجاعة بأن توكل تنظيم الحفل إلى أسرتها؟

سألت "أوين":

- أعتقد يا "أوين" أن الفكرة سيئة جدا.

قال وهو يمرر ذراعه حول وسط الشابة:

- استرخي! إنها فكرتي أنا وأتحمل كامل المسؤولية.

- وهل أنت متأكد من أن الناس سيحضرون؟

- حسب قول العمة "فيرنا" لو حضر نصف المدعوين فإننا سنكون محشورين كالسردين في العلب المحفوظة. لقد شاهدتها في التو وهي في المطبخ تتذوق كل شيء.

- لقد كان لطيفا حقا منها أن تكلف أسرتي بعمل هذا الحفل، ولكني أخشى أن نواجه متاعب خاصة من مشاهد قراءة البخت والطالع.

- بالعكس! إن عمتي تطير فرحا. لقد استطاعت الفوز على منافستها القديمة العجوز "فيوليت دي بوا"، وعلى أية حال فإن حفلا على انغام موسيقى التزيجان الغجرية شيء لم يسبق أن حدث في البلدة.

- لقد دفعت العمة "فيرنا" فعلا ثروة لخالاتي. ثروة من أجل الطعام، ولم يكن هناك ما يدعو إلى استئجار اثنين من ابناء عمي لصف السيارات وأحد أعمامي للعزف على الكمان و"بيلنا" للرقص فضلا عن قارئات الحظ والكف والورق والكرة البلورية..

- ألا تظنين أن العمة "فيرنا" قد استطاعت أن تغلق فم العجوز "فيوليت" بهذا الحدث غير المألوف؟

- وماذا فعلت "فيوليت" في العام الماضي.. هل استأجرت فرقة سيمفونية؟

- بل الأسوأ من ذلك عازفو الآلات النحاسية الذين صدعوا الآذان طوال فترة ما بعد الظهر وقد عادت العمة "فيرنا" من الحفل وهي تعاني من صداع استمر يومين.

www.rewity.com

انفجرت "ناديا" في الضحك، وقالت:

- على الاقل استطيع أن اخمن ان "كمان" "جوستافو" غير مزعج لهذه الدرجة، ولكنك تعرف أن بعض الأشخاص لايحبون قراءة الطالع.

- اهدئي يا "ناديا". لقد توقعت أمك والعمة "فيرنا" كل ذلك. إن الجلوس أمام العرافات ليس إجباريا، وإذا أراد أحد أن يعرف مستقبله فعليه أن يدفع أجر العرافة؛ وبهذه الطريقة لا يستطيع أحد أن يتهم العمة "فيرنا" في حالة النبوءة الكاذبة أو السيئة.

منذ لقائهما في مخزن العلف والغلال من أسبوعين اختار "أوين" أن يقيم شبه إقامة دائمة في ضيعة "ناديا". بدا أنه لا غنى عنه ليقدم لهم يد المساعدة. لقد ساعد "ستيفو" و"روبا" في إصلاح السور. بل نجح في إيجاد عمل لوالدها "روبا" وعمها "يوريك" في أحد مواقع إنشاءاته. لقد بدا الحظ يبتسم لآل "كندرا تافيتش" بفضل "أوين"، ولكن "ناديا" لم تعثر على الوحي مرة أخرى حتى الآن، ولكن الأمل تولد عندها. سألت "أوين" في مرة:

- وماذا سيحدث إذا كانت النبوءة صحيحة؟

- أنا واثق أن الفائدة ستعود على العمة "فيرنا" فهي على أية حال التي نظمت الحفل.

فتح باب الشرفة وقادها إليها. سألها:

- بالمناسبة لم يقرأ أحد طالعي.

أدار عينيه نحو الخالات الثلاث وسألها:

- ماذا تقترحين علي: قراءة ورق اللعب أم أوراق الشاي أم خطوط الكف؟

- هيا.. ليس أمامنا وقت لذلك.

كانت "ناديا" لا تحب أن تقوم إحدى خالاتها بدور الخاطبة وتدعي وهي تقرأ الطالع أنها ستكون من نصيبه. إن الناس لديهم ميل دائما إلى تصديق ما تقوله إحدى العرافات الغجر من ذوات العيون السوداء، ولو قالت إحدى خالاتها لـ"أوين" إنه سيتزوج من غجرية وينجب خمسة أبناء لوقع تحت تأثير هذه النبوءة، و"ناديا" ليست في حاجة إلى مثل هذا التعقيد في حياتها! لا يهم الانجذاب الذي تحسه نحو وريث إمبراطورية "بريسكوت". إن الأولويات عندها واضحة: عائلتها وأسطواناتها. ولكن في الوقت الراهن فإن شاغلها الحقيقي هو أن يمر هذا النهار دون مشاكل. سألها:

- لماذا لا تريدين منهن أن يخبرنني عن مستقبلي؟

قالت "ناديا":

- انظر! هاهي "يلينا".

كانت اختها "يلينا" تكافح في حمل مائدة ومقعدين من النوع الذي ينطوي.

صاحت "ناديا":

- سأذهب لمساعدتها.. إلى اللقاء يا "أوين". ثم اختفت حتى تتجنب الرد على سؤاله. راقبها وهي تبتعد بثوبها المنقوش وبلوزتها البيضاء. لم يشاهد "ناديا" أبدا تحمل حليا ولا خواتم في كل أصابع يدها ولا قرطا ضخما في أذنيها ولا عقدا ذهبيا حول جيدها ولا سلسلة حول كاحلها.

اقترب "سباستيان" كبير الخدم بانحناءاته التقليدية وقال:

www.rewity.com

- أرجو عفوا يا سيدي! إنهم يطلبونك في المطبخ.

- هل هناك مشكلة؟

- إن "ميللي" الطاهية تهدد بتسليم مزيلتها.

- ولماذا بحق السماء؟

كانت "ميللي" طاهية منذ ثلاثين عاما في بيت "بريسكوت" ولم يحدث أبدا أن قدمت شكوى.

- يبدو أنها صدمت من عادات الطهي عند عائلة "كندرا تافيتش".

قال "أوين" وهو يتجه إلى المطبخ:

- ولكن خبرني ماذا جرى إذن؟

- إن عضوين من عائلة "كندرا تافيتش" يقومان الآن بجمع مواد من الحديقة من أجل السلطة.

- ماذا؟ هل "ميللي" غاضبة لأنهم يستخدمون خضراوات الحديقة؟

- يا سيدي إن الأمر لا يتعلق بـ"خضراوات السلطة المعتادة وإنما بسيقان الزهور وجذورها.

* * *

صاحت "مايبل لانسون":

- أوه يا "ايدا".. لابد أن تجعليها تقرأ خطوط الحظ في كفك: إن تلك الغجرية الحيوية تنبأت لي أنه سيقع لي خمس مغامرات عاطفية في حياتي.

عندما سمع "أوين" الحديث الذي دار بين المرأتين نظر بطريقة غريزية إلى راحة يده. تساءل: هل يمكن أن يوجد بها علامات تدل على مستقبله؟ وماذا لو استشار "يلينا"؟

زجرت "ايدا" صديقتها قائلة:

- لقد ألقيت بنقودك من النافذة يا "مايبل". إنك لم تتزوجي سوى أربعة أزواج فقط. وبقدر علمي ليست لك مغامرات خارج الزواج. كانت "ايدا" من النوع الحريص. تذوقت ملعقة من السلطة، ثم أخذت كمية وفيرة منها بينما جلست "مايبل" بجوارها وهي تشعر بالمهانة ردت على كلام صديقتها:

- هذا بالضبط ما قلته لها. أتدرين بماذا أجابتني؟

رفعت "ايدا" عينيها إلى السماء: فقالت الأخرى:

- لقد ردت علي العرافة بأنه مادام هناك حياة هناك أمل.

سعل "أوين" حتى لا ينفجر في الضحك بينما ردت "ايدا":

- إن سنك إحدى وثمانون سنة يا "مايبل". من يمكن أن يرغب في الزواج منك أو حتى إقامة علاقة حب عابرة معك؟

- أنت غيور.. هذا كل ما هناك.

- غيور مم إذن؟

- أنت غيور لأنك لم تتزوجي سوى زوجين فقط، وأن "نيفيل ووكر" لم يرفع عينيه عني في قداس الأحد.

- أنت مصابة بخبل شديد يا "مايبل" المسكينة: إن "نيفيل ووكر" وضع عينيه علي منذ أن ألقى القس موعظة حول خطيئة الجسد.

ظلت السيدتان تتنافران وهما متجهتان ناحية مائدة حيث كان بانتظارهما الفتان من صديقتيهما. كان حفل استقبال العمة "فيرنا" قد نال نجاحا ساحقا. كان كل من دعتهم قد حضروا بل من المعتقد أنهم أحضروا أصدقاءهم معهم. كان من الواضح تماما أنه تم اكتساح

www.rewity.com مـــرمـــوريـــة

"فيوليت دي بوا" وهزيمتها هزيمة منكرة.

كان "أوين" بصعوبة قد لمح "ناديا" منذ وصول المدعوين كانت دائما تجري بين المطبخ والبوفية.

دخل "أوين" المطبخ وعلى شفتيه ابتسامة ماكرة. إنه باعتباره سيد البيت من حقه التفتيش على حسن سير الأمور. وقف عند عتبة المطبخ. كانت "ناديا" واقفة أمام أحد الأفران وهي تتحدث كالطاحونة وقد أمسكت في يدها بملعقة خشبية موجهة نحو أمها وخالتها. وكانت المرأتان بدورهما تلوحان بملعقتيهما الخشبيتين وتجيبان بحدة وغضب. وكن جميعا يتحدثن بلغة لا يفهم منها كلمة واحدة وبالتالي لم يفهم موضوع المشاجرة المحتدمة..

قال لهما مازحا وهو يدخل المطبخ:

- ما رايكن يا سيداتي في حكم يقضي بينكما؟

وجهت أم "ناديا" الحديث إليه بلغة أجنبية.

قال لها:

- من فضلك تكلمي بالإنجليزية. أنا لا أعرف الروسية يا "أولينكا".

- عفواً يا سيدي. أنا أتحدث بالبولندية. استدارت نحو ابنتها وعقدت ذراعيها في كبرياء على صدرها وقالت:

- حسنا.. لنسمح لـ"أوين" للحكم فيما بيننا.

سأل المقصود:

- أحكم على ماذا؟

هزت "ناديا" رأسها ثم ناولته ملعقتها الخشبية وبها بعض الطعام قائلة:

- خبرني هل ينقصه ملح؟

- ملح؟ هل تتشاجرن من أجل الملح؟

- تذوق!

نظر "أوين" أولا للأم، ثم الخالة، ثم "ناديا" وهو يحاول أن يعرف موقفها من المشكلة. إنه لن يجرؤ على نقد المرأة التي يحبها. صاحت "أولينكا":

- لا..لا.. لا تقولي له شيئا يا "ناديا".. ليس من حقك أن تؤثري عليه.

تذوق "أوين" ما في الملعقة الخشبية. كانت عيون النساء الثلاثة معلقة بحكمه. ذاق مرة ثانية ثم قال:

- إنه لذيذ.

سألته "أولينكا":

- ولكن هل يحتاج إلى مزيد من الملح؟

- لا.. إنني أعتبره رائعا هكذا.

ألقت "ناديا" في وجه أمها بعبارة فهم منها أنها تعني "ألم أقل لك ذلك؟" ثم ابتسمت لـ"أوين" ابتسامة واسعة، ثم ألقت بنفسها بين ذراعيه كانت هذه أول مرة تظهر حبها له أمام أسرتها. لقد انتظر أسبوعين هذه العلامة! إن "ناديا" بدأت تنفتح عليه وربما ستصارحه بعد ذلك بالأسرار التي يراها مدفوعة في أعماق عينيها. سألها:

- وإذا قلت لك إنه ينقصه ملح.. ماذا كنت ستفعلين؟

- كنت سأضيف بعض الملح.

اقتربت "سونيا" أخت "ناديا" وطبق في يدها. تجهم "أوين". إن الشابة لا يجب أن توجد في المطبخ الآن، بل ممددة على السرير، أو في

WWW.RWITY.COM
مـــرجـــان

عيادة الطبيب؛ إن "سونيا" حامل على آخرها. سارع "أوين" بنزع الطبق من بين يديها وقال:

- ساعتني به.

همس كلاما ما غير مسموع في اذن "ناديا"، ثم خرج من المطبخ. ظلت الشابة بعد خروجه فترة تتامل الدهليز وعيناها في الفضاء تحلم.

* * *

نظرت "صوفيا" طويلا في فنجان الشاي قبل ان ترفع راسها نحو "أوين". ثم سالته:

- هل تحب ان تسمع الحقيقة؟

- أوه.. نعم.. بالتاكيد.

- انت مهندس مباني وإنشاءات.

حاول "أوين" أن يخفي خيبة امله. إنه ينتظر ما هو أهم من ذلك من "صوفيا". كل الناس يعرفون انه مهندس معماري، وانه يعمل في المباني. وهو الذي قضى كل ما بعد الظهر حائرا بين اختيار قراءة ورق اللعب، أم الفنجان أو الكرة البلورية، أم خطوط الكف؛ لقد تلصص على كل الأحاديث محاولا تقرير أي طريقة افضل لقراءة طالعه. انتهى به الأمر باستخدام طريقة الاستبعاد. كانت "فولجا يونكوفتش" حماة "سونيا" ضليعة في قراءة ورق اللعب، ولكنها كانت تثير الشك بطريقتها المحترفة وتكرار نبوءاتها.

و"يلينا" شقيقة "ناديا" الصغرى بريئة وصغيرة بحيث لن تجيب بصراحة عن أسئلته. لم يبق إذن سوى "صوفيا". التي قالت بعد ذلك محددة:

- انت مشيد للأحلام.

تجهم وجه "أوين".. هنا المراة ايضا لم تات بجديد؛ لانه -بطريقة ما- يحقق احلام الكثيرين.

سالته "صوفيا":

- الا تصدقني؟

- بل أصدقك..

تساءل عما إذا كانت "ناديا" عندما رفضت ان تقرا له العرافات طالعه انها خشيت أن يكتشف كذبهن، أو عجزهن عن قراءة المستقبل؟ ولكن على اية حال لم يتوقع ان تنحني "صوفيا" على أوراق الشاي وتعلنه ان كل احلامه ستتحقق؛ ولكنه كان يامل في شيء ملموس. استمرت "صوفيا":

- انا لا اتحدث عن البيوت ولا المكاتب.

- لا؟ إذن عن اي شيء تتحدثين؟

- عنك. انت لم تحضر إلي لتحصل على معلومات تتعلق بالمهنة.. اليس كذلك؟

- ليس في هذا اي مفاجاة..

- فعلا.. ولكن عملك سيزدهر ويستمر في الازدهار؛ لانه سيكون عندك العديد من الأبناء سيساعدونك.

مال "أوين" نحوها في فضول:

- هل ترين ذلك في أوراق الشاي؟

- لا.. إن حدسي يقول لي: إن أعمالك تسير سيرا حسنا وموهبتي في الملاحظة تهمس لي انك تحب الأطفال.

www.rewity.com

- إذن ماذا تخبرك فعلا أوراق الشاي؟

- أنت في سبيلك لبناء حلم جديد يتعلق بسعادتك.

- وهل سيتحقق هذا الحلم؟

- لست أدري، ولكني أستطيع أن أقول لك إنه حلم قوي جدا يأتي من صميم قلبك. نهض "أوين" في بطء وقال:

- شكرا يا "صوفيا".

- لقد خيبت ظنك. أليس كذلك؟ لقد كنت تأمل في أن أكشف لك عن الغيب: عن رحلة كبرى وعن مغامرة ولقاءات غير عادية أليس كذلك؟

هزت المرأة رأسها في حزن قائلة:

- أرجو أن تسامحني.. لقد نسيت أنك لا تحمل الدماء الغجرية. لقد اعتقدت أنك تريد الحقيقة وليس ادعاءات كاذبة.

- أنا الذي يجب أن يعتذر إليك. لقد حضرت إليك أريد إجابة على الأقل إشارة تدل على أنني أسير في الطريق الصحيح.

ابتسمت له وقالت:

- إن قلبك سيخبرك إن كنت تسير في الطريق الصحيح. أما فيما يتعلق بحلمك فلا أستطيع أن أقول لك إن كان سيتحقق أم لا: أنت سيد قدرك. انحنى "أوين" قليلا ثم خرج من الباب، وكان هناك أشخاص آخرون كثيرون ينتظرون دورهم. نادت عليه "صوفيا":

- "أوين"؟

- نعم؟

- أتمنى لك حظا سعيدا.

* * *

صاح "أوين":

- ماذا؟ "سونيا" ستضع وليدها!

إنه لا يصدق أذنيه. كان كل الناس من حوله يتقبلون الأمر بهدوء تام. كانت "ناديا" تساعد في رفع ما فوق مائدة الطعام، وكانت دار "بريسكوت" قد نظفت من قبل، واستعادت شركة الفراشة المقاعد والخيام، وما إن أصبح كل شيء مرتبا وعاد إلى طبيعته حتى أخذ "أوين" طريقه إلى مخيم "كندرا تافيتش". سأل "ناديا":

- أين هي؟

- لقد نامت.

أحضرت "ناديا" كيسا من فطائر البصل من إحدى عربات الإقامة. ثار "أوين":

- ولكن يجب نقلها إلى المستشفى. أمهليني خمس دقائق وساعود بالسيارة.

وضعت "ناديا" يدها على رأس صبي كان ينظر إليهما بعينين واسعتين. وقالت لـ"أوين":

- صه.. أنت تصيح عاليا وتخيف الأطفال.

- أنا..؟ أخيفهم؟

همست الشابة:

- لا تنطق أبدا كلمة مستشفى. أعرف أنهم في "أمريكا" يذهبون إليها لسبب أو بدون سبب. ولكننا نحن الغجر نختلف عنكم.

نظر "أوين" إلى المركبة الموجودة بها "سونيا" وقال:

- أتقصدين أنها لن تلد في مستوصف الولادة؟

www.rewity.com

كلا.. إن المستشفى بالنسبة لنا هو آخر ملجأ.

- ومن سيساعدها؟

- المرأة التي ساعدتها على ولادة ابنيها الأولين وهي أمي.

- هل ساعدت أمك في ولادة حفيدين لها؟

- ومن يمكن أن يفعل ذلك بحب أكثر منها؟

- الحب شيء.. ولكن الخبرة والكفاءة ودبلوم التوليد المعلق على جدار المستوصف..؟

كان "أوين" مرعوبا. هناك خلف ركن الستارة في العربة المتنقلة ستضع "سونيا" طفلا دون أي مساعدة طبية! ردت عليه:

- وماذا ستصنع قطعة الورق الملتصقة بالجدار؟

إن الفضل لها ولخالتي "ساشا" يرجع في ولادة مائتي طفل.

- هل هما مولدتان.. دايتان؟

ابتسمت "ناديا":

- نعم بالنسبة لنا، ولكن استرخ فلن يطول الأمر. تجهم وجه "أوين" وقال:

- ستلد حالا وهي التي قضت النهار كله تحمل الأطباق يا إلهي! هل بسبب ذلك هي..

طمأنته "ناديا":

- لا.. لقد سبق أن أعطت علامات الولادة قبل ذلك. نحن نعرف ذلك وقد ظللنا نراقبها، ولم نسمح لها بحمل أشياء ثقيلة.

- ماذا؟ ولكن لم يكن من الواجب عليها رفع حتى إصبعها. إن فكرة أن "سونيا" خدمت عمته والمدعوين الأثرياء وهي قاب قوسين أو أدنى

من الوضع بدت له فكرة وحشية.

ردت عليه "ناديا":

- إنها هي التي رغبت في المساعدة. وقد حاولت أن أثنيها عن عزمها إذا أردت أن تعلم. أطلق الشاب زفرة عدم تصديق. أكملت الشابة:

- إن "سونيا" أرادت أن تربح جزءا من الأجر. لقد رأت في الشهر الماضي مهدا جميلا يباع بثمن تصفية في حانوت في المدينة. لقد عرضت عليها أن أقدمه لها، ولكنها رفضت: لقد اعتبرت أنني فعلت ما يكفي بالنسبة لهم وأكثر. إن "سونيا" عنيدة.. إنها من "كندرا تافيتش" حقا..

تأمل "أوين" العربة المتنقلة التي ستظهر فيها حياة جديدة بعد قليل. ثم سأل "ناديا":

- إذن ماذا نفعل؟

أمسكت "ناديا" بيده وقالت:

- علينا أن ننتظر. ثم كف عن تعذيب نفسك إن إخراج طفل للعالم هو أكثر الأمور طبيعية.

- ولكن لو حدث أن..

سكت. سمع صوت صراخ الطفل الوليد.

أحس بيد "ناديا" تضغط على يده. كل من كان حولهما توقف عن الحركة واتجهت أنظارهم نحو العربة بعد لحظات انفتح الباب وظهر الأب "جوستافو"، وقد أشرق وجهه، وقد أمسك بين ذراعيه مخلوقا ضئيلا ملفوفا في بطانية صغيرة.

أعلن وقد التمعت عيناه من الانفعال:

www.rewity.com

- إنها بنت! الابنة، والأم في حالة ممتازة. رفع الطفلة إلى آخر ذراعيه وقال:

- في شرف مناسبة ميلاد أول طفل من عائلة "كندرا تافيتش" على الأرض الأمريكية. قررنا أن نسميها "حرية".

صفق الجميع أمام هذا الإعلان. استدار "أوين" ناحية "ناديا" ومسح دموعها التي سالت على خديها، وهو نفسه وجد صعوبة في السيطرة على مشاعره. كان عليه أن يسلك حلقه قبل أن يقول لها:

- إذن أيتها العمة "ناديا" ما الذي سيلي بعد ذلك؟

ابتسمت. كانت الأسرة حولهما في نشاط واضح وحركة دائبة. كان الأخوال والأعمام للصغيرة قد أخرجوا زجاجات مشروباتهم الوطنية ومدت "سيلكا" و"صوفيا" المائدة الكبرى، وأخذ أحدهم كمانه، وأخذ يردد لحنا مرحا صاخبا وقد أطلق عقيرته على آخرها وكأنما ركبه الشيطان.

قالت الشابة:

- والآن سيحدث أحد التقاليد الغجرية.

- ما هي يا "ناديا"؟

- إنه الاحتفال يا "أوين"..! الاحتفال!

الفصل الثامن

وقف "أوين" في الظل مستندا على شجرة وهو يتحرق شوقا لرؤية "ناديا" بجواره. كانت "ناديا" تتلوى حول نار المخيم وشعرها يتطاير مع الهواء وجسدها يتلوى كالثعبان في رشاقة مذهلة. مما جعله يشعر بالجنون؛ كان شبه متأكد بأنها تحس به وبما يعتمل بداخله من رغبة. لقد ظلت بجواره طوال النهار وهي ممسكة في يده. كانت الشابة تضحك من كل قلبها. بالتأكيد كان هناك سبب لما تفعله نتيجة إثارة الحفل، وكان من حقها أن تضحك على التعليقات الصريحة التي كان يلقيها أعمامها وأبناء أعمامها ومع ذلك لم يغب "أوين" عن أنظارها.. كانت تحدجه بنظرات تقول الكثير.

دفعت أنغام الكمان "ناديا" في دورة مجنونة حول نار المخيم. كانت مغمضة العينين وقد وضعت ذراعيها على صدرها وقد أضاء اللهب

www.rewity.com مرموزية

وجهها.. كانت مشرقة بالطاقة والعاطفة وكان في أعلى صدرها تلمع قطرات العرق. "لقد كانت "ناديا" كراقصة تتمتع بخبرة بدائية. بدت وكأنها في حالة روع وفزع.

فجأة عند انتهاء تصاعد شديد في اللحن توقفت الموسيقى، في الحال تهدل كتفا "ناديا" وأخذت تلهث وهي تتلقى تصفيق العشيرة الأسرية الحماسي.

عندما رفعت رأسها التقت بنظرات "أوين" قالت له بأنفاس مقطوعة.

- لقد رقصت من أجلك.

كان جسدها يرتجف وهو شبه مبتل من العرق مثل شخص قطع أميالا عدوا. قال لها:

- أحقا فعلت؟ شكرا.. هذه أول مرة ترقص امرأة من أجلي.

- وما معنى هذا؟

استمر الحفل حول النيران وأخذ الناس يقصون الحكايات وهم يتناولون مشروباتهم الوطنية التي سالت أنهارا. جذب "أوين" الشابة من يدها وصحبها بعيدا عن الجمع وعن دائرة الضوء. رد عليها.

- معناه أنني لست غير مبال. أليس كذلك؟

- لا.. إن معناه أنني أحبك وأريدك.

كان "أوين" مسحوراً بنظراتها النارية استمرت

- إنني أريدك أكثر من أي شيء في العالم. أكثر حتى من موسيقاي.

اختفيا دون أن يحدثا أي ضجة وأخذا يتسكعان في الحقول تحت ضوء القمر الفضي الذي كان بدرا عندما وصلا إلى قمة التل. استدارا لآخر مرة نحو النيران الخاصة بالمخيم التي كانت تضيء عن بعد ثم

أخذا يجريان نحو البيت. هذه المرة كانا يعلمان أنهما سيصلان لآخر المدى. لقد ظلت طوال أسبوعين تنتظر منه المبادرة، ولكن سلوكه المهذب الذي يميز علية القوم في الجنوب منعه من التصريح بحبه خوفا من أن يقابل من جانبها بالرفض. إذا كان هو قد تحمل كل هذا العذاب فهي لم تعد تتحمل. إنهما في هذه اللحظة كيان واحد ولا يوجد صراع بعد الآن فيه الغالب والمغلوب. لقد ولد الحب الحقيقي عندهما في لحظة واحدة، وبعد هذا الجهود الشاق الذي كتماه طوال أسابيع منذ تعارفا حتى الآن هدأت نفساهما واستغرقا في نوم عميق مليء بالأحلام السعيدة في مستقبل باهر.

* * *

فتحت "ناديا" عينيها وطرفت رموشها عدة مرات. كان النهار قد أشرق. "أوين" ليس في سريره، ولكن سرعان ما شمت الشابة رائحة القهوة اللذيذة، واكتشفت وجود حبيبها أمام التسريحة وقد ارتدى جينزا و"تي-شيرت" وهو يفحص الصور الفوتوغرافية المعلقة في أركان المرآة بإمعان شديد، وبجواره استقرت صينية القهوة ومربى وبسكويت.

سألته:

- هل لازالت القهوة ساخنة؟

استدار نحوها بعينين لامعتين وأخذ يتأملها. كانت الشابة تشعر بالضيق من ضوء النهار. شدت الأغطية عليها ثم قالت في دهشة:

- ولكني أعرف هذا البسكويت. إنه من صنع "صوفيا" أين عثرت عليه؟

- لقد أعطته هي لي.

- ماذا؟ متى قابلتها؟

- عندما هبطت لإعد القهوة.

- خذي.. إنها قهوة فورية وهو كل ما وجدته.

- ليس عندي غيرها. هل تقصد أن تقول إن "صوفيا" كانت في المطبخ عندما نزلت إليه؟

- لا.. لقد طرقت الباب وانا موجود تحت.

- وفتحت لها الباب وانت شبه عار وفي الفجر؟

بدا أن "أوين" لم يتأثر.

- إن "صوفيا" كانت تعرف انني موجود عندك.

- آه.. حقا؟ وكيف عرفت؟

- لقد ظلت سيارتي تحت نافذتك طوال الليل.

قالت "ناديا":

- أوه.. هذا صحيح.. لقد نسيت ذلك، وماذا قالت لك؟

- قالت: إنك تحبين مربى العنب البري على البسكويت الذي تصنعينه بنفسك، وإنك تتناولين قهوتك مع بعض اللبن ولكن بدون سكر.

- ألم تقل شيئا آخر؟

- بل قالت بالتأكيد.

في الحقيقة كانت "صوفيا" هي التي اقترحت عليه أن يقدم للشابة إفطارا وهي في السرير، وارته اين تضع "ناديا" قهوتها ورصت هي بنفسها الفناجين والأطباق والمربى والبسكويت على صينية.

قالت "ناديا" بإلحاح وهي تغمس بسكويتة في القهوة:

- وماذا قالت أيضا؟

- لست أدري. لقد كانت تتكلم معظم الوقت بالروسية، ولكن كفي عن طرح الأسئلة وكلي وعندما تنتهين من الأكل هناك أمور جادة أريد مناقشتها معك.

أجابته "ناديا" وهي تتجاهل كلامه:

- ليس هناك ما هو أهم من الإفطار.

www.rewity.com
مـــرمـــوريـــة

الفصل التاسع

أخذ "أوين" يتأمل والد "ناديا" وقد بدت عليه الجدية والقسوة. كان الرجل ممددا على سريره في المستشفى. قال له آمرا:

- ستبقى هنا إلى أن يسمح لك الأطباء بالخروج والوقوف على قدميك.

أخذ الرجل يزمجر قائلا:

- أريد العودة إلى البيت.

- ليس هذا المساء.. هل سمعت ما قاله الطبيب.

- أولا ماذا يعرفه ذلك الطبيب؟ إنه مجرد صبي صغير

- اسمع يا "ميلوش" أعرف أنك تكره هذا المكان ولكن ذلك من أجل مصلحتك.

- إن ما سيفيدني هو أن أعود إلى بيتي.

- إن لك رأس بغل يا "ميلوش".

- هذا تقريبا ما قاله لي الطبيب عندما التقط صورا غريبة لجمجمتي. وحسب أقواله أن تلك الشظية من المعدن كانت كفيلة بقتلي.. وأنا خرجت منها ناجيا. كالشيطان

ابتعد "أوين" ليذهب وينظر من النافذة. إن والد المرأة التي يحبها كان من الممكن أن يقتل في أحد مواقع العمل الخاصة به! منذ أسبوعين قضى "أوين" و"ناديا" كل الليالي معا. كان كل يوم يمر يزيد من قربهما لبعضهما بعضا. وعندما شاهد جسد "ميلوش" ممددا بلا حركة فوق الأرض أصابت "أوين" صدمة عمره. كيف يمكنه أن يشرح لامرأة حبه وحياته أن والدها مات في الشركة التي يمتلكها ويديرها؟

لقد اتصل بـ"ناديا" من المستشفى وشرح لها الظروف بسرعة حول الحادث وستصل في غضون عشر دقائق هي وأمها. لقد حرص على أن يكرر أن "ميلوش" تجاوز مرحلة الخطر ولكنه كان يخشى إلا ينصتوا إليه.

نادى عليه "ميلوش":

- هاي يا ريس! قص علي مرة أخرى الرحلة داخل سيارة الإسعاف.

اقترب "أوين" من السرير:

- هيا.. أولا لقد ربطوك فوق النقالة، ثم وضعوا نوعا من الجبيرة حول رقبتك ثم لصقوا قناع الأكسجين فوق وجهك، ثم شحنوك في سيارة الإسعاف مثل جوال البطاطس.

انفجر "ميلوش" ضاحكا وقال:

- يالها من حكاية!

ابتسم "أوين" إن الحياة بالنسبة لعشيرة "كندرا تافيتش" عبارة عن مجموعة طويلة من الحكايات والمغامرات. إن "ميلوش" سيقوم بتشويه حكاية الحادث الأصلية وسيتمادى في التفاصيل لدرجة التخمة، وسيحكي انهم جمعوا جسده قطعة قطعة وشظية شظية، ثم سيعود إلى الحياة مرة ثانية.

فجاة انفتح الباب كالعاصفة. سارعت "ناديا" وامها نحو فراش المريض يتبعهما الأعضاء الثمانية والعشرون من الأسرة! لم يتخلف عن الحضور سوى "يوريك" الذي ظل في موقع العمل ليتحرى عن الحادث. فتح "أوين" عينيه على آخرهما عندما رأى "سونيا" تحضر وابنتها "حرية" على ذراعها. اصبحت الحجرة فجاة ضيقة للغاية.. اطفال يبكون وآخرون يفتحون عيونهم رعبا، والنساء يولولن بينما يتشاجرن بالروسية. هز "أوين" راسه وتساءل: كيف استطاعت القبيلة ان تعبر حاجز المرضات؟ شق طريقه بصعوبة حتى "ناديا" وأخذها بين ذراعيه، وأخذ يهدئ من روعها حيث كانت تنشج وتبكي دموعاً حارة. قال لها:

- لماذا تبكين؟ لقد اخبرتك انه سرعان ما سينهض على قدميه. إن والدك يحتاج إلى كمرة من الصلب حتى تصرعه.

شاهدت "ناديا" "ميلوش" وهو يقبل زوجته "أولينكا". كان شاحبا بعض الشيء، ولكنه يبدو في صحة جيدة.

- إذا كان بصحة جيدة فلماذا لا يعود إلى البيت؟

- إنه يعاني من ارتجاج في المخ، والأطباء يريدون حجزه هذه الليلة من باب الاحتياط.. هل كل الناس موجودون هنا؟

دهش "أوين" عندما لم يشاهد حضور أفراد الأمن في المستشفى قالت له:

- لقد جاءوا ليقدموا احترامهم لأبي.

- هل تعلمين أن هناك تعليمات تحدد عدد الموجودين في الغرفة؟

- وكيف لي أن أعرف؟

سكتت الولولة حولهما.. لقد تأكدوا أن "ميلوش" ليس على أعتاب الموت، وخفض الرجال من نبرة أصواتهم. قالت تكمل حديثها:

- أنا لم أدخل المستشفى سوى مرة واحدة فقط طوال عمري لأودع جدي ومات في الليلة التالية..

- أنا آسف يا "ناديا"، ولكن يجب أن تفهمي الوضع: إن والدك هو موظف عندي وقد أصيب وهو يحتاج إلى رعاية طبية. لقد تصرفت من أجل مصلحته.

- أعرف يا "أوين" وأنا شاكرة لك ذلك.

- إنه ضد الكسر كما تعلمين.

كان كبير الغمال "هوي كاتلاند" في الموقع قد حضر ومرر راسه من فتحة الباب وحيا بيده "ميلوش"، ثم اشار خفية إلى "أوين" الذي استاذن من "ناديا":

- ساعود في الحال.

قطبت الشابة جبينها، كان حدسها يخبرها بان هناك أمرا مريبا اقتربت بسرعة نحو سرير أبيها وقبلته وقالت له:

- ساعود في الحال يا أبي فكن عاقلا.

تبعت "أوين" حيث وجدته في الدهليز بصحبة "هوي كاتلاند" وعمها

"يوريك" والذي كان ممسكا بيد من حديد شابا كان من الواضح انه لا حول له ولا قوة. أخذ كبير العمال يشرح:

- كانت الخطة هي تركيب دعامة مزعزعة تسقط وسيتهم "ميلوش" بانه أساء وأهمل في تركيبها، وسيطرد بسبب ارتكاب غلطة جسيمة.

قال "أوين" وهو يوجه الحديث للعامل الشاب:

- هل ستقص علي قصتك؟

قال الشاب وهو يولول:

- لقد كان من المفروض ألا يقع مصابون أو يجرح أحد.

قال له "أوين" بحدة:

- اذهب. وقل هذا لـ"ميلوش". كانت الكمرة ستقع مباشرة على "جيمي لي" ولولا أن "ميلوش" دفعه لسحقته. أما بالنسبة لـ"ميلوش" فقد كان محظوظا أن ظل على قيد الحياة.

كان "بيل" على وشك البكاء وكرر:

- لم يكن من المفروض أن يجرح أحد. هذا ما وعدنا به.

- من هو؟

- إنه "وايت مارشال" الذي أخبرني أن انفذ الخطة.

- وكم دفع لك؟

- لا شيء على الإطلاق. لقد ألغى دين البوكر الذي كان علي. لقد كنت مدينا له ببضع مئات من الدولارات ولم أكن أستطيع الدفع.

تبادل "أوين" و"ناديا" نظرة. إنهما كانا يعرفان أن "وايت" سيحاول أن يفعل شيئا، ولكنهما لم يتوقعا أن تكون ضربته قاتلة.

قال "أوين" للشابة:

- لقد تصرف والدك ببطولة.

هزت كتفيها:

- أن ينتهي الأمر به بجزء من الكمرة مطبوع على رأسه ليس من البطولة في شيء في نظري وإنما هي حماقة.

قال "يوريك" وهو يدفع "بيل" نحو رئيس العمال:

- سأذهب لأطمئن على أخي.

قال له "أوين":

- شكرا على مساعدتك.. لولاك ربما لما كشفنا المؤامرة بهذه السرعة.

فرك "يوريك" يديه وابتسم وهو يتامل العلامة الحمراء التي تزين وجه "بيل" وقال:

- لا تشكرني.. في الحقيقة. لقد أسعدني ذلك.

- بينما تكون عند "ميلوش" احك له ما عرفناه وأخبره أنني سأقدم في الحال بلاغا ضد المجرم.

بينما "يوريك" يبتعد سلم الشاب الصغير إلى رئيس العمال قائلا:

- راقبه وسأذهب إلى مكتب الاتصال لاستدعاء الشرطة.

أمسك "ناديا" من ذراعها واصطحبها معه سالته الشابة:

- هل من الضروري إشراك الشرطة في هذه المسالة؟

- أحب أن أذكرك أن هذا المخلوق كان سيتسبب في موت شخصين من بينهما والدك.

سمحت الممرضة في مكتب الاستقبال لـ"أوين" أن يستخدم التليفون، وبعد ثلث الساعة وصلت الشرطة لتتسلم المخرب.

أثناء ذلك نجحت الممرضات والأطباء في إجلاء قبيلة "كندرا تافيتش"

WWW.RWTY.COM
مـــرمـــوريـــة

الغازية من حجرة المريض ما عدا زوجته، ولكن المشكلة لم تحل بهذا: فقد ازدحم الفجر في الدهاليز المجاورة وهم يتناقشون بلا انقطاع مع المرضى الذين أزعجتهم الضجة والغوغاء. كان الأطفال يلعبون الاستغماية خلف الأسرة والدواليب. قرأت "يلينا" كف إحدى المريضات على مقعد متحرك بينما أخذت "فولجا" تحكي لمجموعة منبهرة كيف أن أحد الكهنة الشماليين من عبدة الطبيعة قرأ لها طالعها. وفتحت شابة عينيها على اتساعهما، ولم يكن السبب معروفا هل هذا بسبب الضجيج أم بسبب الكلمات الحلوة التي كان يهمس بها "ستيفو" في أذنها.

صاحت "ناديا":

- إن أمي لا تريد أن ترحل يا "أوين".

- ساتولى أناذلك واهتمي انت بالباقين.

عاد بعد خمس دقائق وقال لها:

- لقد تم تسوية كل شيء.

- هل ستاتي؟

- لا.. ستبقى.

- في المستشفى؟ إنها ليست مريضة!

- لقد وافقت الممرضات على وضع سرير معسكر في حجرة "ميلوش".

- هل هذا مسموح به؟

- نظرا لأنها ستكون الوحيدة معه في الحجرة دون بقية العشيرة، وأن وجودها سيهدئ من ثورته: فإن الممرضات سيغمضن عيونهن هذه

المرة.

- هل انت واثق من أن كل شيء سيكون على ما يرام؟

- الا تثقين بي؟

نظرت إليه الشابة وابتسمت. أمسكت بيده ولثمتها بشفتيها وقالت:

اثق بك يا "أوين" من كل قلبي.

* * *

وجد الثنائي "ناديا" و"أوين" ملجا صغيرا في نهاية ضيقة "كندرا نافيتش". جلسا وسط العشب المرتفع واخذا يتاملان "خزانة و"فيكتوريا روز" وهما يتبادلان اللهو والغزل على مسافة منهما. أحسا في مكانهما انهما بعيدان عن الجميع.. عن "وايت مارشال" وعن القضية التي اقترب موعد نظرها.

تعبت "ناديا" من تكرار نفس الالحان فوضعت جيتارها بعيدا واقتربت من "أوين"، قال لها:

- اتعرفين انك تتكلمين بلغة اجنبية أثناء تعبيرك عن حبك لي؟

قالت وقد احمر وجهها:

- اعذرني فانا عندما انفعل لا أعرف ماذا اقول. في الحقيقة كانت الشابة تتحدث بالبولندية، او الرومانية لتخفي عواطفها، واكثر من مرة اعترفت "ناديا" بحبها لـ"أوين" بالروسية قال وهو يداعب خصلات شعرها في حنان.

- لا تعتذري عن شيء.. في الحقيقة لا تهمني الكلمات؛ لانني أحس معناها في نبرات صوتك كما انني افسرها بالطريقة التي تعجبني.

WWW.RWTY.COM مـــرمـــور

صمت فترة ثم قال:

- أعرف أنك في يوم ما ستبوحين لي بأسرارك وستشرحين لي معنى هذه الكلمات.. وعندها سنكون سعيدين حقا.

دست "ناديا" رأسها في تجويف كتفه العريضة حتى لا يرى الدموع التي انسابت من عينيها وتلمع على خديها. ظلا وقتا طويلا بدون حركة وهما يستمعان إلى الرياح تحرك أغصان الشجر.

أبطأ "أوين" من سرعة السيارة وهو يمر من أمام بيت "ناديا"، ولكنه استمر في طريقه إلى المخيم. لو حالفه الحظ فسيتمكن من تجنب مشاجرة بين الشابة وأبيها. كان "ميلوش" جالسا بجواره، وصرة من الثلج على عينه.

سأله:

- هل أنت واثق من أنك لا تريد استشارة الطبيب؟

- لا..لا.. لإداعي لذلك، وشكرا مرة ثانية يا صديقي لحضورك لتصحبني. بكم أنا مدين لك؟

- بالكثير.

تجهم وجه "أوين" وهو يلمح "ناديا" وسط المخيم بصحبة أعمامها:

- إن ما يقلقني يا "ميلوش" ليست النقود وإنما هي ابنتك ذات الرأس العنيد كالبغل.

ضحك الغجري العجوز ضحكة قصيرة قائلا:

- فعلا.. إن لها رأسا عنيدا ولكن قلبها طيب. وقفت السيارة واقتربت العشيرة "كندرا تافيتش" وعلى رأسها "ناديا". كان الوقت قد فات على العودة من نفس الطريق.. ومن سحنة الشابة أدرك الاثنان أن

عليهما أن يتخذا الحيطة والحرص. عدل "ميلوش" كيس الثلج على عينه قائلا:

- أنا أعرف كيف أتعامل مع ابنتي.

فتح الرجل باب السيارة وأضاف:

- إن لدي خبرة في التعامل معها من عشرين سنة وراقبني كيف أتصرف يا ابني.

أطلق زفرة تفطر نياط القلب، وخرج من السيارة تبدل تعبير "ناديا" من الغضب إلى القلق وقالت:

- أين كنت يا والدي؟

قالت وراءها "أولينكا" وهي تقترب منه لتنظر فيما تحت كيس الثلج:

- ما الذي حدث لعينك؟

رد عليهما في تاوه وولولة:

- لقد قابلت الجحيم الأمريكي.

استدارت "ناديا" ناحية "أوين" وكأنها تطلب منه تفسيرا لما تراه وما قاله العجوز. فهم "أوين" مكر وخداع الغجري العجوز.. لقد ترك الرجل لـ"أوين" مهمة تسوية الوضع:

- لقد كان أبوك في السجن..

صاحت الشابة:

- وهل أوسعوك ضربا؟

- لم يضربه أحد في السجن فاهدئي. القصة كما يلي: لقد ذهب والدك لمقابلة "وايت مارشال" وحدثت بينهما مناقشة حامية بعض الشيء بشأن التخريب الذي حدث في موقع العمل.

www.rewity.com مـــرويـــة

- أوه.. لا.. يا أبي!

اتجهت نحو والدها وقد استشاطت غضبا:

- لقد وعدتني أن تترك العدالة تأخذ مجراها في هذه المشكلة.

- لقد أخبرت "أوين" أنني لن أقدم شكوى. إن اسمي "كندرا تافيتش"، وأنا رجل حر لن أسمح لرجل يرتدي زى القضاء الأسود وعلى رأسه باروكة رومانية أن يقول لي ما هو العدل ولا كيف يحمي أسرتي.

التفتت "ناديا" ناحية "أوين":

- وماذا عن جلسة الشهر القادم؟

- مادام والدك يرفض تقديم شكوى فإن شركتي ستتولى ذلك. لابد أن يدفع "وايت مارشال" ثمن ما فعله. كان من الممكن أن يلقى عامل مصرعه ولا أريد أن يتصور ذلك المدعو "مارشال" أنه سيفلت من العقاب دون حساب.

- زفرت "ناديا":

- رائع! وأتصور بالتأكيد أنه السبب في تورم عين أبي ولونها الأزرق!

- إن ذلك الجبان لم يلمسني أبدا ولكن في اللحظة التي لم أنتبه فيها..

- إذن لماذا وضعوك في السجن؟

- لأنني دافعت عن نفسي.

استدارت "ناديا" ثانية نحو "أوين" وسألته:

- هل في "أمريكا" تلقون بالناس الذين يدافعون عن أنفسهم في السجن؟

- لا.. ولكن والدك استخدم القوة التي حبته بها الطبيعة وتمادى بعض الشيء مع "مارشال" باختصار "ميلوش" ركله ركلة لعينة.

- وما هو دورك في هذا الموضوع يا "أوين"؟

لا تقل لي إنك صحبته إلى "مارشال"؟

- لا بالتأكيد، ولكن والدك فكر أنني أريد أيضا أن أسوي حسابي معه.

لوحت "ناديا" بإصبعها مهددة تحت أنف والدها "ميلوش":

- كيف استطعت..؟

تراجع "ميلوش" خطوتين وصفق بكفيه ليثير انتباه الجميع وقال بلهجة تمثيلية:

- يا أقاربي! لدي إعلان أقوله لكم: إن صديقي الأمريكي "أوين" قدم خدمة جليلة للأسرة عندما هب لنجدتي، وأنا مدين له بالكثير ووجدت طريقة أسوي بها الدين.

سكت فترة ليتأكد من إنصات الجميع له.

- أنا ميلوش زوركا كندرا تافيتش" أمنح "أوين" أغلى كنز عندي.. يد ابنتي "ناديا كاترينكا". فقد "أوين" قدرته على التفكير.

أما بالنسبة لـ"ناديا" فقد أخذت تحدق في أبيها وكأنها تراه لأول مرة. أصبح وجهها أرجوانيا، ثم بدأت توجه الحديث إلى عائلتها باللغة الروسية. أخذت درجة صوتها تعلو شيئا فشيئا وهي تلوح بذراعيها وأفراد الأسرة يشكلون دائرة حولها، وعندما انتهت من موالها العنيف وضعت قبضتيها في وسطها وتحدت والدها، بنظراتها.

www.rewity.com

أراد "أوين" أن يخفف من توتر الجو.

- هل قالت لا.. أليس كذلك؟

التفتت الشابة نحوه وهاجمته بالروسية. كانت تتفاقز في مكانها وهي تلوح بقبضتها. فهم "أوين" أنها تلعنه وتسبه. وفجأة أدارت له ظهرها وشقت الجمهور المذهول وابتعدت بخطوات واسعة وسريعة.

استعد "أوين" ليتبعها ولكن "ميلوش" أمسكه من ذراعه وقال:

- إذا كنت حريصا على البقاء على قيد الحياة فدعها في حالها حتى تهدأ.

لم تتبع الشابة الطريق إلى البيت وإنما إلى النهير.

سأل "أوين" الغجري العجوز:

- هل يمكن أن تشرح لي لماذا تصرفت بهذا العنف أمام مزحتك؟ لأن ما قلته ليس سوى مزحة وهزر.. أليس كذلك؟

- ها.. ها.. مزحة! لقد قلت لها من مدة طويلة إنني سأدعها تختار زوجها بنفسها.

- إذن لماذا ثارت؟

- إنها تتذكر بعض صديقاتها اللاتي تزوجن بالقوة من رجال لا يحبونهن أولا يعرفونهن. إن ممارسة الزواج المرتب عن طريق الأسرة لايزال قائما بين العديد من العائلات الغجرية.

- ولكن لماذا تمزح في موضوع بهذه الاهمية؟

- حتى تنسى أن توبخني على دخولي السجن. ولكن لا تحزن إلى هذه الدرجة يا صديقي!

كل شيء سينتهي إلى الخير.

- كيف يمكن أن تقول مثل هذا الكلام؟ .

- هل رأيت كيف كانت ثائرة غضبا؟ إنها علامة طيبة. لو ضحكت فهو علامة على أنها لا تكن لك أي عاطفة يا صديقي الأمريكي!

قرر "أوين" أن يلحق بالشابة. وبينما هو يعبر المخيم استدار مرة أخيرة نحو "ميلوش" وصاح:

- هل تريد أن تقدم لي معروفا يا صديقي الغجري؟

- قل واعتبرني نفذت طلبك.

- في المرة القادمة عند دخولك السجن.. لا تستدعني!

www.rewity.com مـــرمـــوريـــة

الفصل العاشر

جلست "ناديا" متجهمة على الأرض تحت شجرة واخذت تلقي بقطع من الحصى في النهير. اقترب "اوين" في صمت، ثم اتخذ مكانه بجوارها.

- هل يمكنني؟

همهمت:

- نحن في بلد ديمقراطي حر.

- لماذا غضبت مني يا "ناديا"؟ هل لأن والدك القى بمزحة سمجة أم لانه وهو في غياهب السجن فضل أن يستدعيني بدلا منك؟ اعترفي انه في أي حالة من الحالتين لا ذنب لي في ذلك.

لفت "ناديا" ساقيها وجلست القرفصاء ثم وضعت ذقنها بين كفيها قائلة:

- سامحني يا "اوين". أنا لست غاضبة منك ولا حتى من ابي: على الاقل فإن تصرفاته متوقعة. لا، إنني غاضبة من نفسي.

- ولماذا إذن انت غاضبة من نفسك؟

- لانني قطعت الجسور.

- اية جسور قطعتها يا "ناديا"؟

- اوه لا شيء.. فقط الجسور الأكثر اهمية..

- الا تريدين ان تقولي لي المزيد؟

- كلا، بوجه خاص.

- لقد اعتقدت انك تثقين بي.

- انا اثق بك يا "اوين".

- ولكن ليس بالدرجة التي تجعلك تبوحين لي باسرارك.

- إن أسراري هي سبب عاري.. وعلي انا فقط ان اتحمل عبئها.

- هل نسيت أن كتفي عريضتان..

- لماذا تريد ان تتحمل مشاكلي؟

- عندما يحب المرء احدا فإن رد الفعل الطبيعي أن يحمل معه مشاكله او يشاركه فيها، وانا احبك يا "ناديا" وانت تعرفين ذلك. إذن دعيني احمل عنك عبئك.

- انا خائفة.

- من اي شيء؟

كان المفروض أن تكون في قمة السعادة.. إن "اوين" من لحظات نطق الكلمات التي تنتظرها كل النساء. أما من ناحيتها هي فلا تستطيع أن تعلن حبها له بإخلاص تام. وهي تخفي عنه الحقيقة. ردت على

www.rewity.com مـــرويـــة

تساؤله:

- انا خائفة من أن افقدك.

ابتسم ابتسامة ارتياح وقال:

- لن تفقديني أبدا.

- وكيف لي أن اثق في ذلك؟ انت لا تعرفني ولا تعرف شيئا عن ماضي.

- هل هناك زوج في الدولاب؟

- ماذا؟ هل كنت تعتقد انني متزوجة؟

- لا تثوري هكذا! لقد قلت فقط اسوأ شيء خطر على بالي. ومادمت غير متزوجة بالفعل فإن الباقي يصبح لاوجود له. إذن ماذا في الأمر؟ هل تطاردك الشرطة؟

- لا تكن أحمق!

في الحقيقة لقد اقترب "أوين" من الحقيقة. لقد استجوبها رجال الشرطة ساعات وساعات وأياما كاملة قبل أن يعترفوا أنها لا تعرف شيئا. إنها لم تكن سوى واجهة دفعوا لها بسخاء من أجل جهلها قال لها:

- حسنا.. مادمت غير متزوجة ولا يطاردك رجال الشرطة إذن لا أرى أي مشكلة.

- والماضي؟ إنك لم تسأل عما كان بإمكاني أن أفعله؟

- أريد أن أكون صادقا معك يا "ناديا". طبعا انا فضولي واتحرق شوقا لأن اعرف ما الذي يثقل على قلبك ولكن أيا كان ذلك الشيء فإنه لن يغير أبدا من عواطفي نحوك. إن ماضيك لا يهمني في شيء وهذه

طبيعتي. أنا لا افكر إلا في المستقبل. مستقبلنا يا "ناديا"!

- ولكن..

وضع إصبعه على فمها ليمنعها من تكملة عبارتها.

- صه! لاتجادليني، وإذا رغبت في يوم من الأيام أن تبوحي لي بماضيك فلا مانع؛ لانني ساستمع إليك دون أن اصدر عليك حكما.. الماضي أصبح ماضيا. إن "أوين" باختصار يقدم لها هدنة.. استراحة يوما آخر في الفردوس، وامسكت "ناديا" بهذه الفرصة دون تردد وهي تشعر بالارتياح، ومع ذلك فهو مخطئ؛ لأن الماضي مهم جدا.

فيما مضى كانت قوية ومستقلة، ولكن الزمن اغتال براءتها، وفي يوم ما سيريد "أوين" أن يعرف الحقيقة، وستضطر الشابة أن تبوح له بكل شيء، وفي ساعتها سيختفي الفردوس من تحت قدميها.

* * *

وضعت "ناديا" سماعة التليفون ونظرت إلى "أوين" الذي كان جالسا أمام مائدة المطبخ يقلب الملعقة في قدح القهوة متظاهراً بانه لم يسمع شيئا من الحديث التليفوني. رسمت الشابة ابتسامة خائبة لم تنجح في إخفاء اضطرابها ثم ذهبت إلى باب الشرفة. لقد تم إصلاح السياج وأعيد طلاؤه باللون الأبيض، وفي الليلة الماضية سوى أحد إخوتها النجيل، وأصلح "روبا" مفصلات الباب الخاص بمخزن الغلال والعلف، ويستطيع "خزانة" و"فيكتوريا روز" أن يتقافزا ويعدوا داخل التحويطة بكل فخر.

تساءلت: ما الذي يمكن أن يؤول إليه مصيرهم فيما لو لم تستطع "ناديا" سداد أقساط قرضها؟

إنهم يمكن أن يفقدوا كل شيء ما بين يوم وليلة.

حار "أوين" ليقف خلفها ويضع يديه على كتفيها قائلا:

- هل تريدين أن تحدثيني عن الأمر؟

- لقد كان الاتصال من ستوديو تسجيل الأغاني لقد قدموا الموعد ثلاثة أسابيع.

أغمضت عينيها وركزت تفكيرها.. سمعت صوت نسيم الريح الشرقية تهب في رقة على الشرفة وصوت طيران النحلة الحبيسة في مطبخها، ولكنها لم تسمع أي نغمة موسيقية والوقت يمر.. قالت:

- لم يبق أمامي سوى شهر لكتابة الأغاني.

- لا تقلقي سياتي الوحي.

- لقد مر شهر وأنا في الصمت. إن كل الأغاني الأخرى جاهزة وأنا مستعدة لتسجيلها بست لغات، ولكن ذهني تجمد عند الأغنية الأخيرة ومع ذلك بدونها لا جدوى من الشريط. إنه عقابي الذي استحق! لقد طلبت الكثير من الحياة.

- أنت.. طلبت الكثير؟

إنه لا يعرف أي امرأة أقل اهتماما بنفسها من "ناديا". إن ما ربحته من حفل استقبال العمة "فيرنا" صرفته في الحال من أجل ابنة أختها "حرية". إن أختها لم تطلب منها أي شيء ومع ذلك فإنها مستعدة من أجلها أن تحضر القمر.

قالت تكمل حديثها الحزين:

- لقد أردت أن أمتلك كل شيء. أردت أن تغادر عائلتي "أوروبا"، ورغبت في مكان يمكنهم أن يعيشوا فيه في سلام، وحتى أتمكن من

إحضارهم من "أوروبا" ضحيت بكل ماكنت أومن به. إنني لن أجني من وراء ذلك المجد ومع ذلك فعلته وسافعله لو اقتضت الضرورة ذلك. وفيما يتعلق بالضيعة فانا على وشك الإفلاس، وإذا ما فشلت في عمل الألبوم الغنائي فسافقد الدار الوحيدة التي تملكتها أسرتي لأول مرة في حياتها

- لن تفقدي شيئا يا حبي. أنا موجود هنا.

- لا أستطيع أن أقبل معونتك يا "أوين".

- ولم لا؟ مادامت لدي الوسيلة لمساعدتك على التغلب على ما تواجهينه من مازق او طريق مسدود.. ويمكنك ان تردي لي بعد ان تقومي بتسجيل الألبوم.

- نقود؟ اتعرض علي نقودا؟

ابتعدت عنه تساءلت: لماذا يحول كل شيء إلى مسالة مالية؟ لقد سبق أن باعت نفسها مرة ولن تعاود الكرة. إنها تفضل ان تقوم أسرتها بقطع كل طرق الولايات المتحدة الأمريكية على عجلات عرباتهم المتنقلة ولا تدع "أوين" يضع ثمنا لحبها.

رد عليها في استغراب:

- إنني اقدم لك ببساطة وسيلة لتحقيق حلمك او بمعنى أخر أن تنفذي حلمك قبل أن يموت

- لا يا "أوين" انت تعرض علي أن أشتري حلمي وهذا يختلف. هل تريد حقا ان تهب لمساعدتي؟

- وكيف يمكن ان تشكي في ذلك؟

- إذن ساعدني على استعادة إلهامي.

www.rewity.com

- لست أدري إن كنت أستطيع ذلك يا "ناديا". ولكن لدي فكرة. ربما استطعت على الأقل أن أجعلك تندمجين في موسيقى الآخرين.

* * *

أخذت "ناديا" تشاهد وهي مبهورة كهف علي بابا الذي دخلاه. كانت الأسطوانات الليزر وأشرطة الكاسيت تحتل أقل مساحة من الأرض وقد رصت في أكوام فوق وتحت الموائد أو مكومة في أكوام عالية خطرة. أينما وضعت الشابة عينيها تجد الموسيقى: كلاسيكية وأوبرا وكذلك موسيقى الكونتري الشعبية الأمريكية وقليلا من موسيقى الجاز والبلوز والروك، والجميع مختلط ببعضه بطريقة عشوائية، بينما سماعات خفية ترسل الحان قطعة قديمة من موسيقى الجاز لـ"جلين ميللر".

كان هذا الركن من الفردوس اسمه "كهف بول" سألته:

- كيف استطعت يا "أوين" العثور على هذا الكنز؟

- بمحض المصادفة البحتة من خمس سنوات. أخذت "ناديا" تلف حول نفسها وهي لا تدري من أين تبدأ. لقد واجه "أوين" نفس المشكلة في أول زيارة له بهذا الركن، وفي نهاية الزيارة الثالثة فهم أنه من غير المجدي البحث عن شيء محدد، وأن الأفضل التركيز على ركن من المكان أملا في اقتناص كنز مخفي. واليوم فإن نصف مجموعة أسطواناته وأشرطته جمعها من هذا الركن الخفي. شرح لها.

- إن السر يكمن في اختيارك ركنا محددا والغوص فيه. سألته "ناديا":

- ألا يوجد أي نوع من النظام.

أخذت أصابعه تجري على صف من الكاسيتات وأخذ يقرأ: "أليس كوبر" و"موزارت" و"ويلي نيلسون".

- نعم في البداية كان هناك نظام ولكنه سرعان ما اختفى.

زمجر عملاق ضخم الجثة وهو يدخل الحجرة:

- ألا زلت تهمهم؟

استدار "أوين" ليصافحه:

- من؟ "بول".. الدب العجوز.. كيف حالك؟ رسم الرجل المقصود بهذا الكلام ابتسامة على فمه الخالي من الأسنان مما يدل على قيامه بالعديد من المشاجرات، ثم ضغط على يد "أوين" الذي قال:

- أقدم لك يا "بول". "ناديا كندرا تافيتش".. "ناديا" هذا "بول" صاحب المكان.

أخفت الشابة دهشتها. لم تكن تتوقع أن تجد في هذا المكان شخصا بهذا الشكل والطباع.

كان طوله أكثر من متر وتسعين سنتيمترا، ربعة الجسم وقد ارتدى جينزا ممزقا عند الركبتين و"تي-شيرت" قديما عليه صورة واسم الدراجة التجارية الشهيرة "هارلي-ديفيد سون" وسلسلة مطلية بالكروم استخدمها بدلا من الحزام وحذاء بوت لونه أصفر كالمستردة لابد أنه ذهب عدة مرات عند الإسكافي لإصلاحه. كان شعره الذي وخطه الشيب قد لمه في ضفيرة ذيل الحصان خلف رأسه بينما لحيته المشوبة بالشعيرات البيضاء تغطي تقريبا صورة النسر الشهير للدراجة المرسومة على الـ"تي-شيرت".

قالت له:

- صباح الخير.. يشرفني أن أقابل صاحب الكهف الشهير.

حنى "بول" جسمه تحية للشابة وقال:

- لقد فهمت تماما السبب الذي يمنع "أوين" من التردد على الكهف من مدة شهرين.

احمر وجه "ناديا" قليلا.

- أؤكد لك اننا كنا سناتي قبل اليوم بكثير لو كنت أعلم بوجود هذا المكان الرائع.

لم تنتظر أكثر من ذلك، وإنما اندفعت تفحص صفوف الأشرطة المسجلة.

هز "أوين" رأسه:

- حاليا يكفيها أن تسعد بالمشاهدة بهذا الحماس ولكن بعد ست ساعات عندما ترغب في غلق الحانوت وترفض هي الخروج.. ماذا ستفعل؟ ظهر جليا ان "بول" أصابه القلق. ذهب إلى خلف مائدة الحساب. وقال:

- حسنا ستمد العمل ساعات إضافية..

- إذن من الأفضل أن نخبر زوجتك وأولادك الخمسة انك لن تعود للبيت في موعدك.

بعد ساعتين ربت "أوين" على كتف "ناديا":

- الغداء جاهز!

- إيه؟ ماذا؟

- لقد تجاوزت الواحدة بعد الظهر.

كان "بول" يحاول إخلاء مكان فوق مائدة الحساب.

- لقد قلت في نفسي: إنني لا أستطيع أن أصحبك للخارج ورأيت أن من الأفضل أن أحضر الغداء هنا.

- وهل خرجت من الحانوت؟

رد في تهكم:

- ألم تلاحظي ذلك؟ إن هذا يشعرني بالفخر. رنت ضحكة "بول" العالية في جنبات المكان. قالت "ناديا" ببساطة وهي تنهض وفي يدها بعض الأسطوانات:

- كان عليك أن تخبرني.

- ولكني أخبرتك.. لقد قلت لك: إنني سأذهب إلى الحانوت المواجه لأشتري ساندوتشات فهل تعرفين بماذا أجبتني؟

أخذت الشابة تنفض الغبار عن الأسطوانات التي اختارتها. إنها حقا لا تمتلك ثمن الحصول عليها ولكن ليكن الأمر. إنها ستتبع رجيما فقيرا في الغذاء هذا الأسبوع لتوفر الثمن. نعم هناك أشياء في الحياة أهم من ملء المعدة.

- كيف لي أن أتذكر أشياء قلتها لك بينما لا أتذكر إن كنت قد خرجت أصلا؟

- لقد قلت لي أن أقود السيارة بحرص.

- نعم وماذا بعد؟ لقد أحسنت بقولي هذا أليس كذلك؟ هل يمكنني أن أذهب لغسل يدي؟ رد عليها "بول":

- عن اليسار في نهاية الدهليز.

قالت وهي تضع الأسطوانات على ركن من المائدة.

- شكرا. ولا تدع أي شخص يلمسها.

www.rewity.com

ثم اختفت خلف الستارة. قال "بول":

- إنها مجنونة بالموسيقى.. أليس كذلك؟

- إنها مغنية. هل تعرف هذا؟

- آه.. في أي فرقة؟

قال "أوين" وهو يلتهم كمية شيبسي البطاطس

- إنها تغني بمفردها. في الشهر القادم ستسجل البوم أغاني للأطفال من ست لغات.

- مذهل! وقبل ذلك ماذا كانت تعمل؟

- كانت تغني في ملهى في "نيويورك".. مكان راق جدا على ما يبدو.

عندما انضمت إليهما الشابة أخذ "بول" يتأملها باهتمام جديد. ناولها مقعداً بدون ظهر من وراء مائدة الحساب. سألها:

- لقد قال لي "أوين": إنك كنت تغنين في "نيويورك".. في أي ملهى؟

رفعت "ناديا" غطاء السانديتش ببطء وردت

- مجرد ملهى محلي وربما لم تسمع عنه هل سبق أن ذهبت إلى "نيويورك"؟

- أنا أذهب إليها مرتين أو ثلاث مرات في السنة ووالداي يسكنان هناك، ولكن وجهك ليس غريبا علي. هل غنيت في التليفزيون؟

- لا.. لم يسبق أن غنيت أبدا في التليفزيون. ولكن كان من حقها أن تنال اهتمام الصحفيين وأن تقف أمام الكاميرات المركزة على الوجه وأمام تلك الغابة من الميكروفونات الممتدة أمامها.

كانت تحس بالعصبية وهي تتظاهر بالتركيز على ساندوتشها. لقد شاهدها "بول" في نشرة الأخبار! سرعان ما سيربط "بول" بين وجهها

وتلك القضية التي أثارت انتباه "نيويورك" أسابيع طويلة، والأسوأ أن الصحافة لم تقص إلا الأكاذيب والإشاعات! الشيء الوحيد المهم هو أن صحفيا سماها "عشيقة مانهاتن" وأنهم اتهموها بأنها لعبت دورا رئيسيا في قضية أثارت الصحافة.

همهم "بول":

- أقسم أنني رأيتك في مكان ما.

دهش "أوين" من شحوب الشابة.

- يقال: إن كل إنسان له شبيه على وجه الأرض أو كما يقولون يخلق من الشبه أربعين.

ابتسم "بول":

- فعلا.. لابد أن الأمر كذلك. هل سبق أن ذهبت إلى "كاليفورنيا"؟

- "هوليود" والزلازل؟ لا. لم أذهب إلى هناك أبدا، وأنت يا "بول" هل تعرف "بودابست"؟

- لا.. أنا وزوجتي مشطنا طرق "أمريكا" ولكنني لم أغادر أبدا القارة الأمريكية.

كانت تريد أن تبعده عن الحديث عن "نيويورك". سارعت بابتلاع سندوتشها ومياهها الغازية ثم استأذنت. وهبطت من فوق مقعدها العالي لتبدأ بحثها مرة ثانية. كانت حريصة على أن تدير ظهرها باستمرار لـ"بول" ولسوء حظها أنها لا تستطيع أن تطلب من "أوين" العودة في الحال وإلا أثارت شكوكه هذه السرعة في التغيير. ظل "بول" جالسا أمام مائدة الحساب وهو يفكر ويداعب ذقنه وهو يراقب الشابة، وكان "أوين" يراقبه بدوره خلسة وهو محتار. ظلت "ناديا"

www.rewity.com

تبحث بين أكوام الأسطوانات وكانت أحيانا تبتسم عندما تعثر على نجمة منسية. إن كل ما كانت تريده "ناديا" هو ترك هذه الجهة في أسرع وقت وقبل أن أن يستعيد "بول" ذاكرته.

* * *

- لست أدري يا "أوين" ربما كان من الأفضل أن نذهب إلى بيتي

كانت السيارة قد وقفت أمام دار "بريسكوت" المهيب. كانت الشابة لاتشعر حقا داخلها بالارتياح ولا تأخذ راحتها، وكانت تجد كل يوم عذرا حتى لا تقضي الليل فيه.

- ولكنك من لحظات قلت إنك أردت أن تسمعي هذه الأسطوانات في الحال على مجموعتي الموسيقية!

- هذا صحيح.. إن لجهاز الاستريو -لاشك- ميزة كبرى.

جمعت المجموعة التي أحضرتها من ركن "بول" والمكونة من اثني عشر البوما. كانت قد تعللت بالصداع حتى تترك محل "بول" والذي زاد أثناء رحلة العودة. فتحت "ناديا" الباب المجاور لها وأبدت تكشيرة ألم ثم قالت:

- ألا تخاطر هكذا بإزعاج عمتك؟

- لقد رحلت مع بعض صديقاتها لعدة أيام إلى "كاب هاتراس" والبيت الآن ملكنا.

- وهل نسيت "سباستيان" و"ميللي"..؟

- لماذا هذا العناد؟ هل صداعك هو الذي يضايقك؟ أدخلها إلى الردهة الكبرى وأخذت الشابة تدلك فوديها ببطء ثم سألته:

- هل عندك أسبرين؟

قال "سباستيان" متدخلا في الحديث:

- سأحضره يا سيدي!

نظرت الشابة إلى كبير الخدم الذي بدا كأنه ظهر فجأة من حيث لا تدري وقالت:

- أستطيع أن أذهب لأحضره لو أشرت إلى المكان يا "سباستيان". إن فكرة أن يخدمها خادم لا تناسبها.

قال "أوين":

- هناك أنبوبة أسبرين في الدرج الأسفل لمكتبي. ابتسمت الشابة لـ"سباستيان" ثم اختفت في نهاية الدهليز.

عندما عادت بعد بضع دقائق كان "أوين" في الصالون وهو يهم بوضع أسطوانة على البيك أب الليزر. غزت الحجرة في الحال النغمات الأولى لكونشرتو لـ"موزارت". كانت على المائدة المنخفضة أمام الأريكة الكبرى وضعت صينية من الفضة وعليها مشروبات منعشة وبسكويت. قالت:

- أرى أن "سباستيان" فكر في كل شيء. أخذ "أوين" كوبا وتجرع جرعة ضخمة من عصير البرتقال، وقال "أوين" بوضوح ودقة:

- أنا الذي اهتممت بذلك. لقد منحت "سباستيان" و"ميللي" الليلة إجازة. لقد سادني شعور أن وجودهما يضايقك. هل يمكن أن تقولي لي عن السبب؟

- إنهما لا يزعجاني على الإطلاق. كل ما هناك أنني لم أتعود على أن يخدمني أحد.

وضع "أوين" كوبا على المائدة المنخفضة وهو يقول وقد أمسك بيد

www.rewity.com

الشابة:

- ليس معنى أنه أراد أن يحضرلك قرصا من الأسبرين أنه عبدك.

صمت قليلا ثم قال:

- ولكن لنعقد هدنة من الجدال.. تعالي ساريك شيئا ما في الدور العلوي..

- ماذا؟ مجموعة طوابعك اليابانية؟

- لا اطمئني من هذه الناحية. سانتظر حتى يذهب عنك الصداع.. ولكن أحب أن تري شيئا. جذبها نحو بداية السلم الكبير دون أن يترك لها الفرصة حتى تتامل لوحات العائلة بإمعان. وعندما وصلا إلى دهليز الدور الأول وقف أمام لوحة مضاءة إضاءة خفية وقال:

- أقدم لك جدتي الكبرى "عين الصباح" "بريسكوت". لم تستطع "ناديا" أن تخفي دهشتها: إنها بعيدة عن الأشخاص القساة الذين تزين لوحاتهم جدارالدرج. كانت الهندية الشابة جالسة على ضفة نهر في ديكور طبيعي فاخر، وكانت ترتدي حلة ذات شراشيب من جلد الوعل، وكان شعرها أسود فاحما كالأبنوس، وكانت حدقتا عينيها لامعتين، أما لون عينيها فكان أزرق.

- هل كانت جدتك الكبرى هندية؟

- نصف هندية.. الأم من قبيلة "الشيروكي" والأب مجهول ولكنه من البيض، وعندما ماتت أمها كانت سنها خمس سنوات، وقد احتضنتها مدرسة ربتها كابنتها، وفيما بعد ذلك أصيب "جيريمي" بصاعقة الحب عندما رآها وقد تزوجا بعد ثلاثة أسابيع من لقائهما.

- إنها حكاية مذهلة!

- لم تكن جميلة إلى هذه الدرجة في البداية. لقد شعرت المدينة كلها بالعار من أن بطلهم "جيريمي بريسكوت" تزوج من امرأة مخلطة أوهجين كما كانوا يسمونها وقتها خاصة وأنها مجهولة الأب.

- إنه لأمر رهيب!

- لم يكن على "عين الصباح" أن تواجه كل لغات المدينة فحسب وإنما وجدت نفسها ما بين يوم وليلة في وضع يسمح لها بأن تصدر أوامر إلى فرقة من الخدم.

- وكيف تصرفت وقتها؟

- بدأت بأن طلبت من "جيريمي" أن يطرد نصف العاملين ولكنه رفض.

- ولماذا هذا؟

- لأن هؤلاء الأشخاص لم يكن لهم مكان يذهبون إليه.. لقد كان ذلك عشية حرب الانفصال ما بين الشمال والجنوب في "أمريكا"، ولم يكن أحد يستطيع العثور على عمل حتى ولو كان تحت حافر جواد، وعلى الأقل كانوا يجدون هنا في منزل جدي الأكبر سقفا يحميهم وشيئا يأكلونه وبضع قطع من النقود في جيوبهم.

- وماذا حدث إذن بعد ذلك؟

عندما وضعت "عين الصباح" ابنها السابع كانت قد ضاعفت من قوة العمالة! لقد وظفت كل الفقراء الذين كانوا يطرقون بابها يطلبون عملا، وقد أشيع أيضا أن الخدم عند "بريسكوت" أحسن من يتلقون أجرا في المنطقة. ابتسمت "ناديا" وأخذت تتامل الصورة قائلة:

- إن جدتك الكبرى كانت ذكية.

www.rewity.com مـــرمـــوريـــة

- نعم وكريمة ايضا اتعرفين؟ انت تشبهينها.

- انا؟

إن ال"بريسكوت" مشهورون باختيار أحسن الزوجات. لو وعدتك بان اضاعف عدد "سباستيان" و"ميللي" فهل تقبلين الزواج مني يا "ناديا"؟

ارتجفت الشابة واستدارت نحو "أوين" لقد كان جادا! كيف ستتصرف في ذلك؟

- انا.. اوه..

أخذ رأسها يدور. يجب أن تقول: نعم.

او ان تعترف له بكل شيء وتطلب منه إذا كان عرضه الزواج منها لايزال قائما. أم تسكت وتدعو ربها الا يكتشف الحقيقة أبدا. على أية حال إن كسب الوقت هو الذي امامه.

- لست أدري بماذا أجيب؟

- إذن أجيبي بنعم.

مال عليها وهمس في أذنها:

- وماذا عن صداعك؟

انفجر ضاحكا عندما رن جرس التليفون فقال:

- الا ترين انه لو كان "سباستيان" موجودا لرد على التليفون.. على أية حال لا تتحركي من مكانك وسنستانف الحديث فيما بعد

راقبته "ناديا" وهو يختفي في إحدى الغرف المجاورة. اخذت تتامل صورة "عين الصباح بريسكوت" وهي تتساءل: كيف وجدت الفتاة الهندية القوة على التغلب على احتقار أهل المدينة كلهم، واي درس يمكن أن تستفيده "ناديا" من هذا المثل؟

رفعت ذقنها ونظرت إلى الهندية في عينيها مباشرة. نعم لابد من مواجهة الحياة وعدم التواري منها. إنها ستقول لـ"اوين" الحقيقة عن ماضيها، وإذا أصر على الزواج منها فإنها ستقبل بسرعة.

- "ناديا"؟

استدارت ناحية "اوين" ورأت أن تعبير وجهه ينذر بالشر. سالته:

- ماذا هناك؟

- إنها أمك على التليفون. يبدو أن هناك مشكلة كبرى.

- ماذا أيضا؟

- إن المدينة على حافة الثورة.

أغمضت "ناديا" عينيها وسالت:

- ماذا فعل الـ"كندرا تافيتش" أيضا؟

- لقد اختفى شقيقك "نيكيتا" مع ابنة العمدة.

www.rewity.com مـــرمـــوريـــة

الفصل الحادي عشر

صاحت "ناديا" في رجل الشرطة:

- ولكن أسرتي كرروا عليك أن "نيكيتا" ليس هنا. كان مخيم "كندرا تافيتش" مقلوبا رأسا على عقب. وكانت الفوضى سائدة لدرجة أن أحدا لم يعد يسمع شيئا. لم يكتف المامور ومساعدوه بالهجوم دون إنذار على المعسكر فحسب، وإنما تبعهم نصف سكان المدينة. وعلى رأسهم العمدة وزوجته الحزينة المكتئبة. كانت "ناديا" قد علمت ان "انا ليه" الشابة قد اختفت وهي في سن الثانية والعشرين وهي السن المفروض فيها أنها تعرف ما تفعله.

قالت "ناديا" للشرطي:

- وعلى أية حال حتى لو كان "نيكيتا" وتلك المدعوة "انالیه" هنا فلن تستطيعوا أن تفعلوا شيئا. إنهما بالغان مدركان..

عندما سمعت زوجة العمدة هذه الكلمات ضاعفت من نشيجها.

اقترب "اوين" من "ناديا" ليهمس لها:

- اطلبي من أمك أن تتأكد هل أخذ "نيكيتا" كل حوائجه.

أشارت "ناديا" لأمها وهمست في أذنها بضع كلمات بالروسية:

اختفت "أولينكا" في إحدى العربات المتنقلة.

عندما استجوبت الشرطة عائلة "كندرا تافيتش" لجأ كل منهم إلى طريقة دفاعية قديمة. تظاهروا بانهم لا يتكلمون كلمة واحدة بالإنجليزية.

قالت "ناديا" وهي تشعر بالمهانة:

- إن كل هذا سخيف.. لابد أنهما ابتعدا عن هنا.

- أعرف هذا يا حبي.. ولكن هاهي أمك عادت. أشار العمدة بسبابته مهددا صدر ممثل الأمن:

- انصحك أن تتصرف وبسرعة يا "إيفان".

- وماذا تريدني أن أفعل؟ أن انقل كل هذه العشيرة إلى قسم الشرطة لاستجوابهم؟

انطلقت سلسلة جديدة من ولولة زوجة العمدة.

وتحول لون العمدة إلى الأحمر الأرجواني وهو يقول:

- انا لا يهمني يا مامور الطريقة التي ستستخدمها ولكني أريد ابنتي في الحال!

- يا سيدي العمدة. إذا كانت ابنتك بالغة وقررت الرحيل هربا مع "نيكيتا كندرا تافيتش" فليس أمامي ما أستطيع أن أفعله.

صاح العمدة ثائرا:

www.rewity.com مـــرمـــوريـــة

- لقد اختطفها..! إنها جريمة!

- لو أردت رأيي الشخصي فإن الأشخاص المختطفين لا يجدون وقتا ليعدوا حقائبهم ولا يتركون كلمة لوالديهم يقولون فيها الا يقلقوا لأنهم عثروا على الحب بين ذراعي "نيكيتا".

عقد العمدة ذراعيه على صدره ونظر مباشرة في عيني المامور الذي قال:

- إذا كنت قد قبلت الحضور حتى هنا فإنني أردت أن تكون الأمور واضحة أمام كل الناس وألا تتسلى بتعذيب الفتى إذا وضعت يدك عليه في أي وقت من الأوقات.

- إنني أحذرك. فإن هذا قد يكلفك فقد شارتك صاح شخص من وسط الجمهور:

- إنه على حق.. إن نساءنا لم يعدن في أمان. ارتجف "أوين" وهمهم:

- أنا أعرف هذا الصوت.. إنه "وايت مارشال" استمر "وايت" في صخبه:

- سرعان ما يلزمنا أن نقيم المتاريس ونخفي نساءنا.. إن هؤلاء البوهيميين ليسوا سوى عصابة من الكذابين والمتشردين! لقد بدءوا بسرقة فرسي بالغش في الورق ثم حاولوا أن يحملوني مسؤولية حادثة..

- نعم لنرسلهم إلى حيث جاءوا..

- إننا لسنا في حاجة إلى هذه الحثالة هنا.. اقترب "أوين" من "وايت مارشال" الذي بدا وجهه محمرا يدل على أنه ثمل وقال:

- اغلق فمك يا "وايت" لست سوى عجوز مخرب وقذر وعربيد.

- ها! انظري من هنا السيد المدافع عن المنبوذين بنفسه! وهكذا نعطي العمل لسارقي الدجاج!

- إنني أحذرك يا "وايت".

- هل بلغ بك الأمر أن تتكلم يا "بريسكوت"؟ لقد اعتقدت أنك مشغول بمطاردة تلك البوهيمية. حدثت ضجة مكتومة عندما استقرت قبضة "أوين" لتحطم فك التعس الذي سقط متدحرجا على الأرض كتلة صماء. لم ينهض وظل مستلقيا. قال "أوين" وهو يتأمل يده المتألمة:

- لقد ضربته:

جاء "ميلوش" ووضع ذراعه على كتفه ثم نظر إلى الرجل الذي يتأوه فاقد الوعي على الأرض وقال:

- حسنا يا صديقي الأمريكي! ماذا نفعل الآن؟ هل نشنقه؟

- لا يا "ميلوش" دع العدالة تتولى ذلك.

وأنت يا "إيڤان" عليك أن تحبسه إلى أن يتخلص من الكحول الذي ملأ دمه.

أصدر المامور أوامره لمساعديه وهو يحاول أن يخفي ابتسامته وقال:

- يالك من لعين يا "أوين".

أشار "أوين" إلى "ناديا" التي اقتربت وأمسكت يده التي مدها لها. تأمل المامور الجسم الساكن لـ"وايت مارشال" بعينين يتطاير منهما الشرر وكفت زوجة التعس عن السباب. وبدت في حالة صدمة كما

www.rewity.com مـــرو

صمت الجمهور. قال "اوين":

- اليوم لست فخوراً بأن اكون امريكيا! لقد اتيتم كلكم هنا يملؤكم التحيز والعنصرية ضد شعب تجهلون عنه كل شيء. ومع ذلك فإن أسلافكم القدامى هاجروا هم ايضاً إلى هذا البلد وعرفوا هذه التفرقة العنصرية. الم تاخذوا إذن عبرة من الماضي؟ إن الـ"كندرا تافيتش" لم يواجهوا التجربة على الإطلاق. بالتاكيد هم لا يتصرفون مثلنا، ولكن باي حق نحكم عليهم؟ معظم الحاضرين منكم إلى هنا تركوا نقودهم على موائد البوكر القمار في محل "وايت" ولكن في اليوم الذي فقد فيه فرسه في اللعب دون أن يتمكن من الغش صاح من الظلم. كل منكم يعرف "جيمي لي". لولا "ميلوش" الحاضر أمامكم الآن غامر بحياته لما كان اليوم حيا على وجه الدنيا، وكيف شكرناه؟ بأن طاردنا اولاده وأحفاده في مجلاتنا كعصابة من اللصوص على استعداد لإفراغ بضائعنا. وعن طريق رفض منحهم العمل، وانت يا "ال" لقد كنت تبحث من شهرين عن ميكانيكي، ولكن عندما جاء "زانكو" إلى بابك أخبرته أن الوظيفة شغلت، ونفس الشيء معك يا "كريس". هل لديك عمل لهذه الاقلية؟

سكت "اوين" حتى يهضم الحضور خطبته ثم التفت ناحية العمدة:

- أنا أعرفك يا "إليس" منذ كنت صبيا يافعا انت لم تحضر إلى هنا لتاخذ ابنتك وإنما لتمارس سلطتك على هؤلاء الناس. واعلم أن ابنتك ناضجة بما فيه الكفاية وتستطيع أن تتخذ قراراتها بنفسها. هل خطر على بالك أن آل "كندرا تافيتش" يمكن أن يقلقوا ايضا على مصير ابنهم؟ إنه لم يكمل السنة في البلاد، وربما يتساءلون: كيف ربيت ابنتك

بحيث تجر ابنهم إلى طرق مجهولة؟

هز "اوين" رأسه في حزن:

- لو كنت اتيت إلى هنا كاب وليس كعمدة لكان عليك أن تناقش والدي "نيكيتا". ومعا قد تتمكنون من جمع المعلومات ولا تضيع ساعات ثمنية. لا.. من المؤكد اليوم انني لست فخورا بالأمريكيين!

ظل ممسكا بيد "ناديا" وشق الجمهور في صمت وابتعد متجها إلى سيارته. همس لها:

- أنا أعشق أسرتك ولكن كفاني اليوم لعب دور "دون كيشوت" الذي كان يحارب طواحين الهواء من أجل الفقراء والمضطهدين.. يجب أن يكونوا قادرين الآن على التصرف بمفردهم. نظرت "ناديا" خلفها من فوق كتفها. اخذ الجمع يتفرق ببطء، ثم تقدم العمدة نفسه ليصافح يد "ميلوش" بينما مساعدا المامور يشحنان "وايت مارشال" في سيارة الدورية. لقد عالج "اوين" الموقف ببراعة وإعجاز.

قال وهو يجلس خلف عجلة القيادة ويغلق الباب:

- حسنا.. يمكننا العودة إلى البيت.

- الا نستطيع ان نذهب افضل إلى بيتي. إن عندي شيئا اريد أن اريه لك.

- لا تقولي إن لديك مجموعة من الصور الفنية عن أجدادك. قالت وقد خفضت عينيها وارتجفت يداها:

- لا.. إنني أريد أن أريك ماضي

# # #

وضعت "ناديا" بعض مكعبات الثلج في فوطة وطوتها ثم وضعتها

على قبضتي "أوين" المتورمتين من لكمة "وايت مارشال" وقالت:

- لا يوجد كسر وإنما مجرد كدمة متورمة.

حرك أصابعه وقال:

- أنا آسف يا "ناديا" إذ لم أتعود على استخدام قبضتي في حل المشاكل. في الحقيقة هذه أول مرة أضرب فيها رجلا لم يلمسني.

أخرجت الشابة من الثلاجة الكهربائية ما يكفي لصنع سندوتشين، وقالت:

- إنه يستحق ذلك تماما وهو الجاني على نفسه. فتحت الخبز بالسكين، ودهنت الداخل بالمايونيز. ثم وضعت قطعة من اللحم المقدد. قال:

- لقد توقعت أن نتعشى في بيتي ونحتفل.

- بماذا نحتفل؟

- هل نسيت عرضي؟ على أية حال لم تردي علي. قطبت الشابة حاجبيها وسألته:

- هل لديك سر لا ينسى في حياتك يا "أوين"؟

- إن حياتي كتاب مفتوح. إن "كاوهيد" بلدة صغيرة، ويكاد يكون من المستحيل حفظ سر يخصك. هل كنت تفضلين العكس؟

- لا بالتأكيد. ولكن فيما يتعلق بي فإن دولابي مليء بالأسرار حتى يوشك أن ينفجر.

- لو رتبت الدولاب لأصبح الأمر أحسن. أستطيع أن أعطيك دفعة مساعدة لترتيب بيتك.

- من المحتمل أن تتراجع أمام ضخامة المهمة.

- وما رأيك في أن تدعيني أحكم بنفسي؟ أنا أحبك يا "ناديا" ومهما حدث أريد منك أن تصبحي زوجتي.

ارتسمت ابتسامة على شفتيها:

- إنها كلمات منمقة في فم رجل لا يعرف الحقيقة.

- أخبريني بالحقيقة وسترين.

ناولته سندوتشه.

بدا "أوين" يقضم فيه بشراهة.. إن آخر حاجز بنته "ناديا" أوشك على السقوط. لقد نجح في كسب ثقتها.

أخذ يراقب بعض الصور التي علقت في كل مكان. صور آخر صيحات الموضة لكبار مصممي الأزياء العالميين وخلف الأبواب علقت أحذية والملابس الضيقة والجوارب البراقة المطرزة وعلى الأرض كان صندوق كرتون شبه مختف تحت الأثواب. قالت وهي تخرج ما بداخل الصندوق الكرتون:

- كل شيء هنا! لقد احتفظت بكل ما وقع في يدي.

- كل هذا عنك؟

- لا ليس كله.. لنقل إنني كنت الشخصية الرئيسية.

- أليس من الأسهل أن تقولي لي بلا مواربة ما هو الأمر؟ أستطيع أن أعرف الحقيقة دون أن أغوص في هذه الأوراق.

- إن الجمهور لم يكن ينظر إلي كما أنا الآن يا "أوين". إنهم لا يعرفون إلا ما قرءوه في الصحف، اوسمعوه في الراديو، أو شاهدوه على شاشات التليفزيون. ساظل بقية عمري محكوما علي بما هو وارد في هذه الأوراق.

www.rewity.com

- إذن عرفك "بول" من التليفزيون.

- لو كان موجودا في "نيويورك" في الصيف الماضي وشاهد شاشات التليفزيون لكان من المستحيل عليه أن ينسى وجهي.

اطلق "أوين" صفيرا وقال:

- الآن انا أموت من الفضول.. ما الذي فعلته؟ هل ارتكبت جريمة قتل؟

- لا.. لم يكن هناك ضحية.

- هل ساعرف الحقيقة؟

- عندما تنتهي مما في هذه الكرتونة وإذا ظللت بعدها راغباً في سماع قصتي الحقيقية عندما ستعرف الحقيقة.. نعم الحقيقة.

اتجهت نحو الباب وهي تقول:

- اجلس في استرخاء، وستكتشف من هي المراة التي طلبت الزواج منها، وساكون اسفل بالمطبخ وقف "أوين" وسط الحجرة الخالية وكرتونة "ناديا" بين ذراعيه يسمع الشابة وهي تهبط الدرج. جلس على الأرض وأسند ظهره على الجدار وفتح الصندوق الكرتون الذي يحوي ماضي "ناديا".

صبت الشابة لنفسها قدحا آخر من القهوة، واحتست جرعة، ثم القت بالباقي في حوض الغسيل. كانت معدتها مشبعة بالكافيين لقد مرت ساعتان ولم يخرج "أوين" من غرفة الضيوف. جلست الشابة في صمت تام وهي تعد الدقائق وتتطلع إلى السلم.

لقد قرات الأوراق مئات المرات وأصبحت تحفظها عن ظهر قلب. كانت كل صورة وكانها مطبوعة في قلبها.

قبل اليوم بخمس سنوات عندما وضعت قدمها على أرض الولايات المتحدة الأمريكية وراسها مليء بالأحلام الوردية والآمال لم يكن في راسها سوى فكرة واحدة. وهي الحصول على المال الكافي لإحضار اسرتها إلى "أمريكا". لقد كانت "أمريكا" بالنسبة لهم أرض الوعود والبلد الذي تتحول فيه الأحلام إلى حقيقة، ولكن بعد سنة من عملها كنادلة ومغنية في مختلف الملاهي الليلية كانت قد اقتصدت بصعوبة ما يكفي فقط لإحضار ثلاثة من إخوتها، وقد رفضت عائلتها عرضها: إما أن يحضر كل أفراد الأسرة أولا يحضر أحد على الإطلاق. وبدات الأحلام تتبدد ببطء وأصبحت بعيدة المنال. ثم حدث فجاة الصعود المفاجئ الذي صاحبه العديد من المقالات الصحفية وخلال بضعة أشهر انتقلت من ملهى مجهول وغامض إلى واحد من أشهر ملاهي "مانهاتن" وتلقت أجرا فلكيا، وسرعان ما وجدت نفسها مرتبطة بواحدة من أكبر عصابات المافيا في "نيويورك" بزعامة "توني شيوتي"، وكانت تشاطره شقة فاخرة تطل على سنترال بارك" حيث اقاما فيها عدة حفلات استقبال مذهلة. كانت الشرطة تحاول أن تقبض على "توني شيوتي" بتهمة الابتزاز والتهديد والبلطجة، ولكنها لم تتمكن من جمع الأدلة الكافية لإدانته، وأخيرا استطاعت الخزانة العامة أن تجرمه بتهمة التهرب من الضرائب وهي من الجرائم الفيدرالية في "أمريكا". وقد أثارت القضية شهية الصحافة، واطلقوا على "ناديا" اسم عشيقة مانهاتن الصامتة كالقبر، وقد حكم على "شيوتي" بالسجن خمس سنوات، واختفت عشيقة مانهاتن من الأخبار.

نهضت "ناديا" وذهبت إلى الباب الذي يؤدي إلى الشرفة. إنها تعرف

www.rewity.com مـرمـوريـة

انه لا يوجد في الصندوق الكرتون ما يفسر دوافعها، ولن يجد "أوين" من بينها أي عنصر ملموس يلقي ظلال الشك على ما ذكرته الصحافة. كل شيء يدل على أنها صديقة "توني شيوتي" الأب الروحي للمافيا.

أطلقت زفرة طويلة. لقد كان من السهل دون شك أن تحكي الحقيقة لـ"أوين" قبل أن تريه تلك المقالات، ولكنها أرادت أن تعرف هل يثق بها لدرجة أن يفهم أنها ليست المرأة التي وصفتها الصحافة المغرمة بالإثارة؟ وهل يحبها بقوة تجعله يسعى إلى معرفة الحقيقة؟

فجأة سمعت صوت صرير الباركيه فوق رأسها. لقد انتهت فترة الانتظار.. إن "أوين" يهبط الدرج..

الفصل الثاني عشر

دخل "أوين" المطبخ وتأمل الشابة لحظات وهي تدير له ظهرها. لم تتحرك وكانها غارقة في أفكارها. وضع بعض الصور الفوتوغرافية على المائدة وهو صامت، ثم ذهب ليصب لنفسه قدحا من القهوة. قال أخيرا وهو مستند على المائدة:

- هذه واحدة من أحسن الروايات التي قرأتها.

قالت "ناديا" وهي تستدير في الحال نحوه:

- رواية؟

- هل كنت تعتقدين حقا أنني سأصدق هذا الكلام؟

- إن الحكم على "توني شيوتي" لتهربه من الضرائب حقيقة واقعة.

ابتعدت عن الباب وأخذت تتأمل الصور التي اختارها "أوين" وكلها صورها هي. قال:

- إن التهرب من الضرائب أقل جرائمه.

www.rewity.com
مـــر مـــوريـــة

- بالتأكيد.

تاملت صورة التقطت لها من أربع سنوات لحظة وصولها إلى الولايات المتحدة الأمريكية وقد بدت ساذجة ومليئة بالآمال والأحلام.

استانفت "ناديا" حديثها:

- ولكن له على الأقل ميزة: إنه يعشق زوجته وأولاده.

- زوجته؟ لم أشاهد ذلك في أي مقالة صحفية.

قالت "ناديا" وهي تضع الصورة:

- أعرف ذلك، ولكن خبرني كيف لم تصدق كل ما كتبته عني الصحف؟

- لأنني أعرفك يا "ناديا". إذن، لا تصلحين عشيقة لزعيم "مافيا" كما لا أصلح أنا كمغني.

- ولكني سمعتك تغني تحت الدش.

- إذن تعرفين جيدا أن صوتي لا يصلح للغناء، ويجب أن أتمنى أن يرث أبناؤنا موهبة الغناء عنك ويرثون عني الصبر.

جلس أمام المائدة وطلب منها أن تجلس بجواره. همهمت غير مصدقة:

- أطفال؟ أنت إذن لازلت تريد الزواج مني بعد أن عرفت الحقيقة؟

- كيف يمكن أن تشكي في ذلك؟ لابد أن أعترف أنني شغوف بأن أعرف لماذا كنت تعيشين مع متزوج فضلا عن أنه من المافيا.

أشارت الشابة إلى الصورة التي كانت ممسكة بها.

- هذه صورتي منذ أربع سنوات وأنا على وشك النزول من الباخرة، وقد حصلت على عمل مغنية في مشرب ومقهى.

- كان من الواجب علي أن أتوقع ذلك.

- كيف؟

- من عينيك.

بدأ يرتب الصور ترتيبا زمنيا:

- أنت هنا سعيدة وعيناك مليئتان بالأحلام، وفي هذه لازالت الأحلام موجودة، ولكن الأمور بدأت تصبح صعبة عليك.

- لقد حدث ذلك عندما فهمت أن المطلوب مني هو أكثر من العمل والأمل لإخراج أسرتي من أوروبا.

- وفي هذه الصورة اختفى الحلم، ثم في هذه الصورة بداية الأسرار.

عضت "ناديا" شفتها السفلى وقالت:

- في إحدى الأمسيات بعد نمرة الغناء التي أقدمها جاء رجل غني جدا لمقابلتي في مقصورتي وقدم لي عرضا لم أستطع أن أرفضه.

نهضت وأخذت تذرع الحجرة، أكملت:

- هذا الرجل كانت له ابنة اسمها "ماريا" يحبها بشدة ويريد أن يحميها بأي ثمن، وكانت "ماريا" قد وقعت في حب رجل غير محترم تزوجته في السر؛ لأنها تعلم أن والدها لن يرضى بهذا الزواج.

قال "أوين":

- وهذا العريس الشاب غير المحترم هو "توني شيوتي".

- بالضبط. لقد احتفظ "توني" و"ماريا" بزواجهما سرا إلى اليوم الذي حملت فيه؛ وعليه أخبرا والد "ماريا" الذي انفجر غاضبا. أخفى "توني" "ماريا" وابنه، ثم حاول أن يعمل لنفسه اسما بالطريقة الوحيدة التي يعرفها وهي الشارع، وكلما زادت سطوته وثروته فإن قائمة أعدائه كانت تطول، وقد كانت "ماريا" ووالدها يتشاجران باستمرار بسببه. كانت ترفض أن تهجر "توني" والذي كانت تنتظر مولد طفله الثاني.

فهم والد "ماريا" انها وطفليها في حاجة إلى حماية. لا يستطيع "توني" ان يوفرها لهم. طبعا لم يكن اي شخص من المحيطين بزعيم المافيا يعرف وجود اسرته الصغيرة، ولكن اعداءه بدءوا يهتمون بحياته الخاصة واخذوا يبحثون عن نقطة ضعفه.

- لذلك وظفك والد "ماريا" لتلعبي دور عشيقته؟

- لم اكن سأقبل نقود "توني" وانا اعرف من اين حصل عليها، ولكن مع والد "ماريا" الأمر يختلف. فقد كون ثروته في البحرية التجارية وامواله كانت نظيفة، وقد استطعت بالمرتب الذي يعطيه لي مع ما اربحه من الملهى ان اقتصد بسرعة ما يكفي لإحضار اسرتي من "اوروبا".

- لابد ان "ماريا" لم تكن تستسيغ إقامتك مع "توني".

- لم اكن اعيش معه يا "اوين". لقد كانت تمثيلية. لقد قام والد "ماريا" بإسكان ابنته وطفليها في شقة فاخرة في حي "مانهاتن" وكنت، انا و"توني" نسكن في الشقة المقابلة. في الحقيقة كانت هناك ثلاث شقق في الطابق: شقة "ماريا"، وشقتي، وشقة شاب خليع نادرا ما كان يأتي إلى "نيويورك"، وكان "توني" طبعا يقضي كل لياليه في شقة زوجته وطفليه.

عرف "اوين" الآن اية اسرار مختفية في نظراتها. لقد ظلت "ماريا" طوال عامين مختفية لا وجود لها لقد ضحت بسنين من عمرها من أجل حب ذويها سألها:

- وهل هذا يساوي كل هذا التعب؟

- لو اضطررت لفعله مرة ثانية لما ترددت. لقد كانت النتائج إيجابية. لم اعد مضطرة للعمل كساقية في ملهى رخيص طوال النهار واستطعت ان ابدا في كتابة اغاني للأطفال، وفي نهاية القضية

الخاصة بـ"توني" ألفت عددا من الأغاني، مكنتني من الحصول على عقد من شركة اسطوانات.

- وماذا صار كل من "ماريا" و"توني"؟

- عندما حكم عليه بالسجن أعطته "ماريا" حرية الاختيار بين قبول عمل في الخارج يديره له والدها بعد خروجه من السجن او لا تنتظره. لقد كان الولدان في حاجة إلى أب حقيقي، وآخر ما بلغني من أخبار أن كل الأسرة ستنتقل إلى "البرازيل".

نهض "اوين" بدوره وقال:

- إذن الآن عرفت كل اسرارك.

- إنني ارجوك ألا تسرع بقصها على أسرتي.

- إذن من اين اعتقدوا انك حصلت على المال اللازم لإحضارهم إلى "أمريكا" - نحن في امريكا يا "اوين" وهم يتصورون انها ارض مناجم الذهب.

- اسمعي جيدا يا "ناديا كندرا تافيتش"! لو فعلت هذا مرة ثانية لكان لك معي حساب عسير.

كان يتحدث بلهجة غاضبة وضرب قبضته بعنف على سطح المائدة.

فغرت الشابة فمها دهشة واتسعت عيناها ثم سألته:

- لماذا تحدثني بهذه اللهجة؟

- لأنني غاضب جدا.. ألا تدركين مدى الأخطار التي واجهتها؟

- انا..

- ألا يوجد "مافيا" في "روسيا"؟ لقد كان من الممكن أن تقتلي بكل سهولة ودون أي تردد من عصابات المافيا لو اكتشفت دورك! أجابته "ناديا" ببساطة:

- ولكني على قيد الحياة! وعندما بدأ اللعب يشتد ويزداد خطرا

استاجر لي "توني" حرسا خاصا.

- إذن انت لا تحسين بالخطر؟

- بل احس به كل يوم، ولكني كنت مدركة للأخطار المسلطة على رقاب أسرتي في "أوروبا".

اخذ "أوين" يفكر في الأخطار التي تعرضت لها "ناديا" من اجل إنقاذ اسرتها، وتساءل:

ماذا كان يفعل لو ان والديه يتعرضان لخطر الموت؟

لقد اثبتت الشابة شجاعتها.

قال لها:

- إنني لا اتصور ما تعرضت له يا "ناديا"، ولكني ازددت حبا لك عن الماضي.

همست في اذنه كلمات لم يفهمها فقال:

- لقد سمعتك تقولين هذا الكلام من قبل ماذا يعني؟

- إنه بالروسية، ويعني انا احبك.

اخذت عيناها تضحكان. اختفى الشعور بالعار والذنب، والاسرار السوداء بفعل السحر، ولمع الأمل مرة اخرى في عينيها.

قال "أوين":

- انا احبك اكثر من كل العالم

ابتسمت "ناديا" وقد اسندت راسها على كتف "أوين" الذي كان ينام بعمق. اغمضت عينيها ثم فتحتهما فجاة وظلت ساكنة بلا حركة وهي تكتم انفاسها. بدا لحن يداعب ذهنها ويتضح شيئا فشيئا.. إنها اغنية مليئة بالأمل والحلم. اغمضت "ناديا" عينيها واستسلمت لهذا اللحن المرح. لقد عاد لها إلهامها.. والفت اخر اغنية في الالبوم.

الخاتمة

قال "أوين":

- إذا لم تسرعي يا "ناديا" فستفوتنا الطائرة ناول "چيريمي" الصغير البالغ ثلاث سنوات من عمره إلى "سباستيان" لياخذ حقيبتي الملابس الموجودتين في البهو.

صاحت "ناديا" من المطبخ حيث كانت تعطي تعليماتها الأخيرة لأمها و"ميللي" الخاصة بإعداد طعام الصغير "زخاري":

- انا قادمة! تذكرا انه يحب الخضراوات الطازجة. راجعت الشابة خط رحلتها من مدن وفنادق وارقام تليفون، والمسجلة على باب الثلاجة.

- .. وانتبها جيدا إلى ألا يأكل الصابون.

تدخلت أمها:

- إنك ستقومين برحلة لعشرة أيام فقط. وانا قادرة على العناية بطفلك الصغير هذه المدة!

صاح "أوين" وهو في الردهة:

www.rewity.com مـرمـوريـة

- هل أخذت فيتامينات يا "ناديا"؟ أخذت الشابة قارورة بها كبسولات جيلاتينية زرقاء من الدولاب وقالت:

- نعم لقد أحضرتها.

ذهب جميع من بالمطبخ لمقابلة "أوين" سألته "ناديا":

- هل معك التذاكر؟

- نعم إنها في جيبي هيا.. السائق ينتظر.

- دقيقة واحدة. قبلت ولديها وقالت:

- "چيريمي"! لقد وعدتني أن تكون عاقلا مع العمة "فيرنا" وجدتك وجدك و"سباستيان" و"ميللي" - ستفوتنا الطائرة فعلا يا "ناديا" هيا..

فتح "أوين" الباب. جرى كبير الخدم ليحمل الحقائب في حقيبة السيارة.

استدارت "ناديا" مرة أخيرة لتودع كل المجتمعين على باب الدار.

قال "أوين" وهو ينظر إلى بطن زوجته المنتفخ:

- إذا لم نرحل الآن فسنؤجل الرحلة سنين لأن الصغيرة "كليفلاند" ستحتاج إلى أمها بعد ولادتها الوشيكة.

ردت عليه وهي تأخذ مكانها على الأريكة الخلفية.

- لن أسمي ابنتي "كليفلاند" ثم من قال لك: إنها ستكون بنتا؟

لوح "أوين" مودعا ولديه ونصف دستة الجليسات ثم انطلقت السيارة الليموزين في طريقها. قال لـ"ناديا":

- هل تنسين أن العمة "صوفيا" قرأت ذلك في أوراق الشاي؟

سرعان ما حملتهما الطائرة بعيدا في السماء اللازوردية الزرقاء الصافية مثل سعادتهما.

تمت